معهد
الجزيرة للإعلام

شيرين أبو عاقلة
سيرةُ صحفية

دراسة في الأساليب المهنية الموظفة
في تقارير شيرين أبو عاقلة

إعداد:
محمد البقالي
حياة الحريري

تحرير:
محمد خمايسة
محمد أحداد

شيرين أبو عاقلة..
سيرة صحفية

دراسة في الأساليب المهنية الموظفة
في تقارير شيرين أبو عاقلة.

أنجز هذا الكتاب بالشراكة بين **معهد الجزيرة للإعلام ومؤسسة ديالكتيك للإعلام البحثي والتدريب.**

إعداد:

محمد البقالي

حياة الحريري

تحرير:

محمد خمايسة

محمد أحداد

تصميم:

أحمد فتّاح

الدوحة – قطر 2023

معهد الجزيـرة للإعلام
ALJAZEERA MEDIA INSTITUTE

جميع الحقوق محفوظة © معهد الجزيرة للإعلام 2023

الفهرس

تقديم: معهد الجزيرة للإعلام 6

مقدمة: وليد العمري - مدير مكتب الجزيرة في فلسطين 8

الجزء الأول:

شيرين أبو عاقلة ... القيم المهنيّة في الممارسة الصحفيّة 21

محمّد البقالي - مراسل الجزيرة في فرنسا

منهجيّة الدراسة 26

الفصل الأول: شيرين أبو عاقلة والجزيرة... الفرص والأعباء في بيئة مهنية مختلفة 29

1- المراسل الصحفي والمؤسسة الإعلامية... مسار بناء القيم المهنية المشتركة 32

2- الانتماء إلى قناة الجزيرة... الفرص المهنية والإكراهات الميدانية 34

الفصل الثاني: الإنسان والقصة الإنسانية في تقارير شيرين أبو عاقلة 44

1. حكي القضايا الكبيرة من خلال تفاصيل صغيرة 48

2. قوة الصورة ... وقوة الكلمة 50

3. القصة الإنسانية: ليست بالضرورة مأساوية 50
4. الأرقام في خدمة القصة الإنسانية 52
5. القصة الإنسانية... الصحافة المتعاطفة دون انحياز 53
6. القصة الإنسانية... قوة التكثيف 56
7. القصة الإنسانية: من التخصيص إلى التعميم 58
8. الصور والمقابلات: شهود القصة الإنسانية 59

الفصل الثالث: أخلاقيات المهنة... الالتزام المهني والأخلاقي في تقارير شيرين أبو عاقلة 63

-1 أخلاقيات المهنة... تقاطعات قيم المؤسسة والالتزام الصحفي 66
-2 المعلومة الدقيقة... الأرقام أصدق إنباء من الكلمات 69
-3 قريبا من الحقيقة بعيدا عن "خطاب الضحية" 72
-4 التوازن ... كل جوانب الصورة 73
-5 الحقيقة أولا .. ولو كانت "مُرة" 75
-6 الصورة.. إظهار الحقيقة وحفظ كرامة الشهداء 78

الفصل الرابع: العمل الميداني.. الطريق الصعب إلى الحقيقة 81

-1 العمل الصحفي الميداني: المصاعب والإكراهات 83
-2 العمل الميداني: خطوط التماس بين الصحفي والمؤرخ 86
-3 الحضور الميداني: شهادة على جغرافية الوطن المحتلّ 90

الفصل الخامس: مراقبة السلطة... عندما يفسد الصّحفيّ "المهرجانات التنكريّة" للأقوياء 95

-1 الصحافة في مواجهة السلطة... نماذج متباينة 98
-2 الانتصار للمهنة في مواجهة الاحتلال: الكشف في مواجهة الإخفاء 103
-3 التحقق من الرواية الإسرائيلية ... عندما تتحول الصحافة إلى "جهاز لكشف كذب الاحتلال" 111

الجزء الثاني:

استحضار القضية الفلسطينية في تقارير شيرين أبو عاقلة 116

حياة الحريري - باحثة وصحفية مديرة مؤسسة لـ "ديالكتيك" للإعلام البحثي والتدريب.

مقدمة 119

1. استحضار القضية الفلسطينية من خلال حرية العبادة أو ممارسة الشعائر الدينية 125

2. استحضار القضية الفلسطينية من خلال تغطية الاستيطان 129

3. استحضار القضية الفلسطينية من خلال انتهاك الحقوق الاقتصادية والاجتماعية 133

4. استحضار القضية الفلسطينية من خلال سياسة الهدم والعزل 137

5. استحضار القضية الفلسطينية من خلال الحق في التعليم وحقوق الطفل 140

6. استحضار القضية الفلسطينية من خلال قضية الأسرى 143

7. استحضار القضية الفلسطينية من خلال التراث والثقافة 144

تقديم | معهد الجزيرة للإعلام

يصدر هذا الكتاب بالتزامن مع الذكرى الأولى لاغتيال الصحفية في قناة الجزيرة شيرين أبو عاقلة، وبعد أيام فقط من الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة، وقد تبخرت حزمة الوعود التي أطلقها المجتمع الدولي بملاحقة ومحاسبة الجناة.

اغتال الاحتلال الإسرائيلي شيرين أبو عاقلة في الميدان – حيث مجالها الحيوي – مرتدية سترة الصحافة، منهمكة في نقل الرواية الحقيقية للعالم.

في الفترة الماضية تحول اغتيال شيرين إلى قضية عالمية من زاوية التنديد بوحشية الاحتلال وكذا من زاوية الاحتفاء بمسيرتها المهنية الطويلة، لكنْ لم تكن هناك – قبل ذلك – محاولة تأسيسية لفهم قدرة شيرين على التأثير في الرأي العام العربي والعالمي أيضا طيلة عقود. باستثناء شهادات زميلاتها وزملائها، كان استحضار تجربة شيرين أبو عاقلة مرتبطا بالرثاء الذي تفرضه الطريقة التراجيدية التي رحلت بها، وغاب التفكير في الممارسة المهنية والأخلاقية الواعية المؤطرة لتجربتها الطويلة في الصحافة.

خلال هذه التجربة لم ينظر إلى شيرين أبو عاقلة على أنها معارضة سياسية أو متخندقة في معسكر أيديولوجي أو منحازة إلى تيار، رغم أنها اشتغلت في بيئة سياسية معادية لممارسة المهنة سيّجها الاحتلال بـ "أسوارعالية"، ولغّمتها الصراعات الفلسطينية الداخلية. في هذا التخبط القاتم لم تفقد شيرين مهنيتها وقدرتها على الوصول إلى أكبر شريحة من الجمهور المنقسم.

في العادة تدفع هذه البيئة السياسية المعقدة إلى "المعارضة السياسية"، بيد أنّ إخضاع تقاريرها للدراسة والتحليل العلمي يوضح إلى أي مدى بقيت متوازنة حتى وهي تغطي قضية تنتمي إليها. لقد تماهت مع الصحافة حد التصوّف، لدرجة أن وليد العُمري – مدير مكتب الجزيرة بفلسطين، المشارك في الكتاب – وصفها بأنها المؤشر الذي "نقيس به مهنيتنا".

صحفيّة حرب، صحفيّة الميدان، صوت فلسطين، صحفيّة القصة الإنسانية القريبة من الناس، مؤرخة اللحظة، صوت الجزيرة... بين كل هذه الصفات يمكن أن تقرأ تجربة شيرين أبو عاقلة التي اقترنت صورتها بقناة الجزيرة، وبقدرتها الاستثنائية على حماية مبادئ الصحافة.

في الكتاب نستحضر سيرة شيرين أبو عاقلة المهنية وفق تقسيم منهجي يقتفي تقاريرها على شاشة الجزيرة. يتضمن هذا التقسيم شيرين أبو عاقلة والجزيرة، حضور الإنسان والقصة الإنسانية، أخلاقيات المهنة، العمل الميداني ثم مراقبة السلطة بكل تجلياتها، أما الفصل الأخير، فقد خُصّص للقضية المركزية التي بذلت حياتها في سبيلها؛ وهي القضية الفلسطينية.

مقدمة

وليد العمري
مدير مكتب الجزيرة في فلسطين

في الطريق من جنين إلى نابلس، ونحن نرافق جثمان الشهيدة شيرين أبو عاقلة إلى معهد الطب العدلي في جامعة النجاح، وبينما كان المواطنون من القرى يخرجون إلى مفارق الطرق ينثرون الورد على سيارة الإسعاف التابعة للهلال الأحمر الفلسطيني التي تحتضن جثمانها الطاهر ، كما أصرّ بعضهم – كبلدة سيلة الظهر – على ألّا تعبر شيرين من بلدهم إلا محمولة على الأكتاف والحسرة تعتصر القلوب، في هذه الأثناء ونحن نرافقها في طريقها الأخير فاتحتني صديقتها وزميلتها جيفارا البديري، وكنا في نفس السيارة خلف سيارة الإسعاف ضمن الموكب المرافق لجثمان الشهيدة، قالت وهي تجهش بالبكاء: "كنا عندما ترفض لنا طلبا أو يستعصي علينا أمر معك نرسل إليك شيرين، ماذا سنفعل الآن؟"

فعلا هذه هي شيرين؛ كانت إنسانة قبل كل شيء، أهلا لثقة زميلاتها وزملائها ومرؤوسيها، كانت عنوانا لهمومهم وأوجاعهم ومرجعا لمهنيّتهم.

كانت شيرين المسطرة التي أقيس بها نفسي وباقي الزميلات والزملاء مهنيا وأخلاقيا وإنسانيا، لم تردّ محتاجا قصدها، لم تخطئ مرة في عملها، لم تقصر ولم تشكُ من مهمة كُلِّفت بها، خاضت غمار العمل بكل مخاطره وتحدياته، كانت دائمة التعليم والتعلم؛ علّمت في جامعة بير زيت وتعلمت فيها.

بعد استشهادها تجلّت لنا زواياها الإنسانية الراقية والرائعة التي أخفتها عنا، ولم نعلم بها إلا بعد رحيلها، فقد كانت تدعم الكثير من المحتاجين، معطاءة قدمت إفطارات في رمضان لبعض المعتكفات في المسجد الأقصى، وتبرعات لجهات محتاجة كثيرة.

كانت شيرين مسيحيةً في ديانتها فلسطينيةً في وطنيّتها عالميةً في أفقها، تحمل أيضا الجنسية الأمريكية، واسعة الاطلاع والأفق، مهنية حتى النخاع في قدراتها الصحفية.

أحبت الناس فأحبوها، وعبّروا عن ذلك بالنزول إلى مداخل قراهم بين جنين ونابلس.

شيرين والناس والجزيرة

تبقى ذكرى شيرين مؤبدة فلها في كل موقع وواقعة ذكرى؛ هنا كان لها لقاء مباشر على قناة الجزيرة عن عائلة ثكلت عزيزها بالدفاع عن الوطن والمواطنين. هنا أعدت تقريرا أو قصة إنسانية عن عائلة منكوبة. هنا روت قصة شهيد ومعاناة أسير. وهنا حكت للناس والعالم تعقيدات الخطر المحدق بحياة الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي.

روت قصص الأطفال ومعاناتهم في طريقهم إلى المدرسة بسبب إجراءات الاحتلال، ونقلت أوجاعهم على آبائهم أسرى الحرية في سجون الاحتلال، غطت الحروب وغطت مباحثات السلام، نقلت أخبار الإنجازات والإخفاقات، وغطت الأفراح والأتراح.

كانت شيرين أول من ظهر على شاشة الجزيرة ترتدي الزي الوقائي من وباء كورونا، عندما جازفت وأعدّت تقريرا عن أوائل المصابين، وكانت طالبة عائدة لتوها من فرنسا.

جابت في تغطياتها طول فلسطين وعرضها؛ من رفح في جنوب قطاع غزة على الحدود مع مصر حتى رأس الناقورة على الحدود مع لبنان، ومن يافا على البحر المتوسط إلى مجدل شمس في الجولان السوري المحتل، ومن جنين إلى الخليل ومن الناصرة إلى بئر السبع. كانت شيرين في كل موقع وواقعة في كل حدث وحديث حكاية شعب على مدار سنوات عملها الخمس والعشرين مراسلةً متقدمةً في قناة الجزيرة. نقّبت عن الحقيقة ونقلتها للجمهور، ونبشت الأرض مع أهالي الشهداء في مخيم جنين خلال معركة صموده واجتياحه من قِبل الاحتلال عام 2002.

لا أبالغ إذا قلت – وبحساب بسيط – إنها ربما أعدت ما لا يقل عن 2500 تقرير، وقدمت ضِعف هذا العدد وربما أكثر من المقابلات المباشرة (لايفات) عالجت فيها مواضيع تنتمي إلى الرياضة والصحة والتعليم والاقتصاد والسياسة والحرب. كانت مسيرتها المهنية ثرية على نحو غير مسبوق لصحفي معروف محليا وعربيا وعالميا. غطّت قصصا وأحداثا على جانبي الخط الأخضر، وفي الأردن وسوريا والولايات المتحدة وبريطانيا ولاهاي والفاتيكان وروما وتايلاند ومصر.

كانت الجزيرة بيتها الآمن وكانت هي بنتها المقدرة إلى أن فاجأها قناص إسرائيلي قاتل لئيم ملعون برصاصة أمريكية قاتلة وهي على رأس عملها صحفية متألقة يشار إليها بالبنان.

كانت كعادتها في عين المكان تتقدم صفوف الصحفيين لتغطية اجتياح مخيم جنين في الحادي عشر من أيار \مايو عام 2022، إلى جانب الزملاء علي السمودي الذي نجا قبلها بثوان من رصاصة اخترقت كتفه، وشذا حنايشة ومجاهد السعدي اللذَين نجوا بأعجوبة، بينما كان خلفها الزملاء طاقم الجزيرة مجدي بنورة ومهند نيروخ ومحمد سلامة وآخرون. قتلوها وهي في قمة إنسانيتها وذروة عطائها وتألقها المهني.

شيرين ابنة البلد

نتذكرها في كل واقعة وموقعة وموقع، تقطَع الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها؛ هنا دوار دير شرف المدخل الغربي لمدينة نابلس، ينتصب وسطه حجر البلاد وقد حفر عليه اسم شيرين ورسمها وأسفله الطريق إلى جنين. وعلى الشارع الرئيس قرب قرية عجة بين جنين ونابلس يلاقيك دوار شيرين أبو عاقلة رسما واسما، وتزور قرية بيت إمرين شمال نابلس من مدخلها الشرقي فتقرأ اسم شارع شيرين أبو عاقلة. تزور مقر الجزيرة في رام الله فيلاقيك عنوان مقر شبكة الجزيرة في رام الله "4 شارع شيرين أبو عاقلة وسط البلد/المنارة – رام الله".

أما الجامعات: بير زيت والعربية الأمريكية في جنين – رام الله والأمريكية في بيروت واليرموك في الأردن فقد قررت جميعها تخليدها بمِنَح وجوائز للطالبات والطلاب المتميزين.

لا يمضي أسبوع منذ رحيلها إلا ويؤم مكتبها الزوار، يحضرون الورود والرسومات ويزورون ضريحها في القدس يترحمون عليها بتلاوة الفاتحة وأبانا الذي في السماوات تقديرا لها وشكرا لما قدمته في مسيرتها المهنية.

طالبات في الصف الخامس بمدرسة الفريندز أعددن مشروعا عنوانه حقوق الصحفيين، شيرين نموذجا. طلبة وطالبات في مركز شغف لذوي الاحتياجات الخاصة السمعية في نابلس خلدوا صورتها مع أغصان الزيتون على جدارية من الفسيفساء أعدوها مع معلمتهم وأهدوها إلى مكتب الجزيرة في رام الله.

متحف شيرين أبو عاقلة للإعلام مشروع كريم مشترك متفق على تشييده بين بلدية رام الله وشبكة الجزيرة الإعلامية لتخليد ذكراها، ستحتضنه مدينة رام الله ليصبح من معالمها الهامة، كما سيُشيَّد نصب تذكاري من تصميم الفنان العالمي محمد سباعنة في موقع استشهادها في حي الهدف عند مدخل مخيم جنين، الذي أصبح كما كتب الشاعر الكبير محمود درويش عن غزة "بها شهيد يسعفه شهيد ويصوره شهيد ويودعه شهيد ويصلي عليه شهيد"، وشيرين شهيدة كانت تصور الشهداء وتحكي حكايتهم وتروي تضحياتهم من أجل حرية شعبهم، واستشهدت بنيران المجرم نفسه.

تعرفت على شيرين أبو عاقلة، عندما اختارتنا جامعة بير زيت لتأهيلنا كمدربين في مركز التدريب الإذاعي الذي أسسته الجامعة عام 1996 ليكون نواة معهد الإعلام فيما بعد، اختارنا الأستاذان نبيل الخطيب وحكم عبد الهادي المسؤولان عن تأسيس معهد التدريب الإعلامي في الجامعة، وكانت يومها تقدم برنامجا إذاعيا ناجحا في إذاعة صوت فلسطين حديثة العهد إلى جانب الزميل عاصف حميدي مدير الأخبار في الجزيرة حاليا. وقتَها كنت مراسلا لإذاعة الشرق في باريس والعالم في ألمانيا ومسؤولا عن قسم الإسرائيليات في المكتب الفلسطيني ومجلة العودة وصحيفة القدس ولي تجربة محدودة في العمل التلفزيوني.

كانت الجزيرة قد انطلقت بعد بضعة أشهر من ذلك، فاشتغلتُ فيها مراسلا وحيدا في عامها الأول، وعندما بدأت تبثّ على مدار الساعة زادت الأعباء، وبعد عدة تجارب غير ناجحة مع مراسلات ومراسلين عدة استقر الخيار على شيرين في تموز/ يوليو من عام 1997، ومنذ ذلك الحين حتى يوم استشهادها لم تخيّب أملي؛ كانت دائما فوق كل التوقعات؛ صحفيةً لا يشق لها غبار، إنسانة خلوقة عالية القدر لا تشوبها شائبة. طاهرة القلب نقية السريرة ابنة البلد.

لذلك يتذكرها الصغار والكبار، المسؤولون وعامة الشعب. "لا شيء يشبه شيرين لكن شيرين تشبه كل شيء". كانت تشبه شعبها في معاناته وصلابته وانفتاحه وكرمه وأخلاقه وتضحياته وجسارته ولطافته وحدّته.

تميزت شيرين بلغة خاصة تعبر عنها وهي"لغة السهل الممتنع"؛ كما وصفتها الأستاذة أماني عواد مدققة اللغة في الجزيرة، حيث كتبت عن شيرين الصحفية تقول: "تقاريرها الخبرية وقصصها الإنسانية تتسم بالعمق والسلاسة، بقوة الطرح وبساطة التعبير، بالتماهي مع الفكرة والتوازن الموضوعي، بالانحياز للحقيقة وشفافية العرض، وكانت روحها المتّقدة حماسةً وصوتها المفعم بالشجن الفلسطيني، ومحاكاتها لهموم الناس تصل القلب والعقل دون عناء، وتلامس بحنوّ آسر المشاعر وشغاف الروح".

فلا غرابة إذن أن تصدح أم أحمد من مخيم جنين وسواعد الشبان السمر تحمل جثمان شيرين الطاهر على الأكتاف، وقد خرجت المدينة ومخيمها عن بكرة أبيها في وداعها في رحلتها الأخيرة. صدح صوت أم أحمد بين المودعين "من جنين الأبية طلعت شمعة مضوية.. يا شباب لا تروحوا هاي شيرين ضحت بروحها.. قولوا الله قولوا الله.. هاي شيرين مش حايلله".. فاختنق بكاء النواح والنواحة في الصدور بينما الدمعة في المقلة نار. وشيرين التي كانت تقول في جنين ومخيمها الذي أحبت "إن أردت أن تشعر أنك قوي، قل أنا في الطريق إلى جنين".

شيرين.. أخلاق وأخلاقيات المهنة

التزمت شيرين بأخلاق مهنة الصحافة كأنها جزء من كتاب مقدس لدرجة أنها لم تحِد عنها في تغطيتها، خاصة الحفاظ على كرامة الضحايا ومشاعر ذويهم. احترمت الأطفال والقصر، وتوخت الدقة بعد التحقق

من المعلومات، ونقلتها دون تزويق أو تزييف، فكانت أخلاق المهنة من أخلاقها، وكان احترامها لمن تتعامل معهم لافتا، كما لم ترضخ لأصحاب مصلحة في خبر أو ترويج. لم تتجند أو تحسب يوما على تيار سياسي أو فصيل بعينه، وهو ما أكبره الجميع فيها، باختصار انتمت لكل أطياف الشعب وطوائفه.

نقلت شيرين الخبر من عين المكان ومن يومها الأول في الجزيرة مواجهةً المخاطر، دائمةَ الحضور في الميدان فوصلت إلى أبعد نقطة متاحة، والأمثلة كثيرة؛ بدءا باجتياحات مخيم جنين منذ عام 2002 إلى اجتياحاته في يوم استشهادها في مايو/أيار 2022، وأحداث انتفاضة الأقصى من كل مواقعها تقريبا ومرورا بحصار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وتغطية الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة والحروب التي توالت عليه، وكذلك الحرب على لبنان عام 2006 ووصولا إلى اختطاف قوات الاحتلال الإسرائيلي للأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات واللواء فؤاد الشوبكي مسؤول المالية والتجهيزات العسكرية في حركة فتح من أريحا سنة 2006، حيث كانت – ولسبع ساعات – الصحفية الوحيدة التي دخلت أريحا قبل أن تغلقها قوات الاحتلال لتنقل على الهواء عملية الاختطاف.

كما أنها تميزت بشكل لافت في تغطيات أحداث الشيخ جراح وباب العامود والمسجد الأقصى والاحتجاجات داخل الخط الأخضر ثم الحرب التي اندلعت مع المقاومة في قطاع غزة في مايو/ أيار 2021. أجرت مقابلات ميدانية مباشرة للأحداث والمواجهات في نشرات الجزيرة في يوم واحد من القدس واللد والناصرة وأم الفحم وبيت لحم، وهي مسافة تزيد عن 600 كيلومتر، تنقلت فيها مع طاقمها في كل هذه المدن والبلدات الفلسطينية على جانبي الخط الأخضر .

هذا غيض من فيض مما نقلته من الميدان، كانت حاضرة دائما متحققة من معلوماتها، دقيقة في نقلها، بعيدة عن التهويل والتحريض والشعارات والمشاعر وكذلك عن الاستعراض.

بين الرقابة والمراقبة

عملت شيرين كزميلاتها وزملائها من الصحفيات والصحفيين الفلسطينيين في وضع معقد، لا تكمن خطورته في الظروف الميدانية فحسب، وإنما في تعقيدات الوضع المركب والحساس: سلطة وطنية فلسطينية في الضفة الغربية، سيطرة للاحتلال والمستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية والقدس المحتلة، وسلطة إسرائيلية داخل مناطق الخط الأخضر، فصائل وفعاليات ومجتمع سياسي غير بسيط.

لم يكن العمل سهلا ولا هينا، كانت دهاليزه كثيرة الالتواء والحُفر؛ فلقد سبق للسلطات الإسرائيلية أن اتخذت قرارا مع تصاعد انتفاضة الأقصى – التي تميزت الجزيرة في نقل أحداثها – عام 2002 بسحب بطاقات الاعتماد لصحفيي الجزيرة وبدأت بشيرين أبو عاقلة، كمقدمةٍ هدفُها سحبُ اعتمادات باقي الصحفيين، لكن المحكمة العليا الإسرائيلية أسقطت القرار ومنعته لعدم قانونيته.

كان الهدف الأساسي وراء ذلك هو محاصرة الجزيرة، وعرقلة تغطيتها للانتفاضة، لكن مكتب الصحافة الحكومي الإسرائيلي لم يقوَ على تثبيت قراره؛ إذ لم يعثر على تحريض ولا كذب ولا تلفيق في التغطية، فطوى ذيله بين ساقيه وولى الأدبار، كذلك فعلت الرقابة العسكرية الإسرائيلية التي لم تجد ذريعة ولا تهمة تستند إليها.

واصلت شيرين دون كلل أو ملل مع باقي زملائها العمل وسط الرياح العاتية التي تعصف بالمنطقة، فحملت أمانتها الصحفية وانحازت للحقيقة، رغم أن المحاذير والمخاطر زادت خاصة بعد صراع ذوي القربى (حركتي فتح وحماس) على السلطة الفلسطينية؛ وهو صراع ضيّقَ هامش حرية الصحفيين على نحو خطير، وأصبح العمل الصحفي محفوفا بالمخاطر، لكنها واصلت المسير في تغطياتها ونقلها للأخبار بحلوها ومرها.

كان الواقع مريرا ولم يكن هينا نقلُ الرواية الحقيقيّة لما يجري للشعب الفلسطيني، وهذا الانقسام زاد المهمةَ صعوبة وتعقيدا وخطورة، وكأنّ ما يكابده الفلسطينيون تحت الاحتلال لم يكن كافيا حتى يأتيهم اقتتال الإخوة الأعداء. ناهيك عن التغطية في مجتمع محافظ وما يفرضه من محاذير وحسابات ليست بسيطة.

لقد عملتْ وسط تناقضات سياسية داخلية ومحاذير اجتماعية ورقابة ورصد مزعج من السلطات والمجتمع وفصائله، إلى جانب الاحتلال الإسرائيلي الذي جثم عليها بحقده الذي لا ينضب وقمعه الذي لا ينتهي لأبناء جلدتها.

هكذا عبّرت شيرين عن رسالتها الصحفية القائمة على نقل الحقيقة ورواية الحكاية في مقولتها الشهيرة: "ربما لم يكن سهلا عليّ أن أغيّر الواقع، لكنني على الأقل كنت قادرة على إيصال ذلك الصوت إلى العالم". وذاك الصوت هو صوت المظلومين ليس في فلسطين فقط بل في كل العالم.

ما أشدّ المرارة عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية وما يكابده شعبها تحت الاحتلال وفي الشتات، ومع ذلك فقد كانت شيرين ملمة بكل تفاصيلها وتعقيداتها وصراعاتها الداخلية والتوازنات والمحاذير التي تنطوي عليها. اكتسبت خبرة كبيرة وتمتعت بشبكة علاقات مكّنتها من الحصول على المعلومة الدقيقة والتحقّق منها قبل نقلها للمشاهدين عبر شاشة الجزيرة بالسرعة القصوى الممكنة.

ليس سهلا أن تكون ابن القضية وأن تنتميَ لصلب أهلها وتنقلَ – في الوقت نفسه – أخبارها بتوازن معقول، مع أنّك ضحيةُ كباقي أبناء شعبك. لكنها فعلت ذلك بلباقة لافتة ومهنية عالية.

لقد لامها الكثير على هدوئها ورباطة جأشها في نقل الأنباء القاسية من هدم وقتل ومعاناة؛ كما كان الحال عندما قضت ليلتها مع الفريق في منطقة الأغوار الشمالية لترصد اعتداءات قوات الاحتلال والمستوطنين على الفلسطينيّين وحقولهم ومصادرة محاصيلهم وقتل ماشيتهم، وكذلك في مسافر يطا في جنوب الضفة الغربية، و رصد ما يعانيه سكانها، تحديدا الأطفال في طريقهم إلى المدرسة البعيدة، ومعاناة

مخيمات اللاجئين، وقصة قرية الخان الأحمر والتهديد بتدميرها، وما سيترتب على ذلك من تداعيات استراتيجية على مستقبل التواصل الجغرافي بين شمال الضفة وجنوبها.

رسمت شيرين بالكلمة والصورة للمشاهد حقيقة المشهد، وظن البعض أنها لا تتأثر بالحدث، لكنها كانت تكتم معاناتها، وتحتفظ بمشاعرها لنفسها ولا تعرضها أو تستعرضها على الشاشة.

جمعت شيرين علاقات جيدة مع الكثير من مؤسسات المجتمع الدولي التي رأت فيها صحفية فلسطينية مهنية متزنة تنقل هموم الفلسطينيّين، وتعالج قضيتهم بصدق وموضوعية. فحظيت بتقدير عال عند جهات أجنبية كثيرة، لذلك أتقنت العديد من اللغات: لغتها الأم العربية، وأتقنت الإنجليزية بطلاقة، والأرمنية وبعض الفرنسية والعبرية التي قطعت فيها شوطا كبيرا، كما كانت قارئة نهمة جدّا للقصة والتاريخ والعلم.

إلى جانب ذلك كله كانت ناشطة نسوية واجتماعية همُّها الشخصي هو الشعب الذي تنتمي إليه، فكانت عضوا في الهيئة الإدارية لمركز الفن الشعبي في مدينة البيرة، الذي يحتضن فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية الأشهر في فلسطين، والتي تنظم منذ ثلاثة عقود مهرجان فلسطين الدولي، الذي يعدّ أهم نشاط فنيّ ثقافي وطني في فلسطين.

ختاما أود القول إننا عرفنا بعد استشهادها أنها كانت تكفل الأيتام وتقدم الدعم للطلبة المحتاجين بقدر استطاعتها.

انتهى

الجزء الأول:

شيرين أبو عاقلة... القيم المهنيّة في الممارسة الصحفيّة

محمّد البقالي
مراسل الجزيرة في فرنسا

نحن نغطي قضية عادلة.. لا تحتاج للشعارات والكلمات البراقة، بل تحتاج لتقديم الحقائق

شيرين أبو عاقلة
في حوار مع مجلة الصحافة

مقدمة:

في الحادي عشر من مايو 2022، استيقظ العالم على خبر اغتيال الصحفية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة.

كانت الفاجعة كبيرة. أكبر من أن يتوقعها أحد، وعندما وقعت كانت عصية على التصديق!

صحيح أن الموت قتلاً أو اغتيالاً يندرج ضمن الاحتمالات الممكنة بالنسبة لصحفي يشتغل في منطقة ساخنة. لكن ما حدث كان مختلفًا تمامًا عن كل ما يندرج ضمن دائرة المتوقّع. فكل العناصر تجمّعت لتجعل من هذه الفاجعة مختلفة عن كل ما سبقها من مثيلاتها: فثمة استهداف مباشر في غياب أي مواجهات أو توتر بما يعني أن الجريمة كانت مقصودة، وثمة صور توثق اللحظات المروعة بتفاصيلها، ومعها شهادات تعضد الصور وتضعها في سياقها، والأهم، اسم الضحية: شيرين أبو عاقلة.

ليس لأن الناس ليسوا سواء أمام فاجعة الموت، ولكن لأن شيرين، وقبل اغتيالها وعلى امتداد ربع قرن، كانت قد دخلت كل بيت عربي من خلال تقاريرها على شاشة الجزيرة.. لقد كانت تمثل في الوجدان العربي صوت فلسطين بشكل من الأشكال من خلال مئات التغطيات الميدانية التي رافقت فيها المشاهد على درب تطورات القضية الفلسطينية في أيام السلم والحرب.

بمفهوم "قانون القرب النفسي" الذي يمثل قاعدة أساسية في انتقاء الأخبار في وسائل الإعلام، كانت شيرين أبو عاقلة قريبةً جدًّا من كل العرب وإن تناءت جغرافيتهم وتباعدت، فقد ارتبطت صورتها بقضية فلسطين بكل ما لها من حضور ورمزية وزخم في الوجدان العربي

الإسلامي. وبقدر هذا الزخم كانت الصدمة عندما طالع الناس خبر اغتيالها صباح الحادي عشر من مايو 2022. فلم يحسوا بأنه يتعلق باستهداف "اعتيادي" لصحفي في منطقة ساخنة كما حدث مع 86 صحفيا[1] آخرين قضوا في مختلف مناطق النزاع خلال السنة نفسها.

خارج العالم العربي، لم تكن ردود الفعل أقل "صدمة" مما حدث. فالصور القادمة من مكان الاغتيال تدل على استهداف متعمد لصحفية من أهم صحفيات جيلها في العالم. ولأن المتهم بالجريمة هو إسرائيل لم يكن التحرك الدولي فاعلا بما فيه الكفاية ليصل بالأمور إلى منتهاها سواء في محكمة الجنايات الدولية أو في مجلس الأمن. لكن رغم الدعم الأمريكي والمحاولات الغربية للتورية عن الاغتيال، فإن الجريمة أخذت بعدا دوليا كان بالإمكان أن يكون لها ما بعدها، لولا تواطؤ القوى الكبرى مع إسرائيل. لكن بعيدا عن حسابات السياسة الدولية وتقلباتها، ثمة سؤال يفرض نفسه: ما الذي جعل من شيرين أبو عاقلة أيقونة صحفية ملهمة في حياتها وبعد موتها؟

يقال: إن الموت يمنح القداسة للأشخاص. قد يكون هذا صحيحا، لكن ليس بالنسبة لشيرين أبو عاقلة. فهي لم تكن في حاجة لتموت ليصبح لها اسم في عالم الصحافة.

فقد صنعته في حياتها بعملها اليومي على امتداد ثلاثين عاما من الممارسة المهنية، قضت منها خمسة وعشرين عاما في قناة الجزيرة، لذلك عندما جاءها الموت على شكل رصاصة غادرة وهي في الميدان تواصل مهمتها الصحفية، كان تفاعل الناس مع خبر مقتلها منسجما تماما مع صورتها التي رسمتها بجديتها ومهنيتها ووقعت عليها في النهاية... بدمها.

---

[1] وفق إحصاءات منظمة اليونسكو
https://news.un.org/ar/story/2023/01/1117547

هذا الجانب تحديدا من حياة شيرين هو ما سنتناوله في هذا الفصل من الكتاب. وبعيدا عن كلمات الرثاء، سنُعمل مشرح التحليل في تقاريرها التلفزيونية على امتداد سنوات عملها لنستخرج منها، انسجاما مع قواعد البحث العلمي، القيم المهنية الأساسية التي ميزت عملها.

وسنركز في هذه الدراسة على أربع قيم رئيسية، تلخص في مجموعها الالتزام المهني والأخلاقي والحس الإنساني والشرط الإبداعي في صناعة التقرير التلفزيوني الميداني. وهذه القيم هي:

- الإنسان من خلال رصد حضور القصة الإنسانية في تقارير شيرين أبو عاقلة
- احترام أخلاقيات المهنة: الدقة، التوازن...
- تمثّل دور الميدان
- مراقبة السلطة

منهجية الدراسة:

سنعتمد في هذه الدراسة على منهجية تحليل المضمون من خلال عينة عشوائية مشكلة من 50 تقريرا تلفزيونيا أنجزتها شيرين أبو عاقلة خلال الفترة الممتدة من عام 2000 إلى 2022. وجميع هذه التقارير موجهة لنشرات الأخبار، ومتوسط مدتها 2:30، وهي تتوزع بين تقارير إخبارية وتقارير فيتشرز.

فأما التقارير الإخبارية فهي تقارير مرتبطة بحدث سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وتتميز بنفس سريع في الإعداد والإنجاز والبث إذ إنها تفرض نفسها لكونها تغطي حدثا لا يتحمل الانتظار، بينما تقارير الفيتشرز أو القصص التلفزيونية فهي تقارير تتطرق إلى قصة أو موضوع ولا تغطي حدثا.[2]

واختيار عينة التقارير المدروسة تم على قاعدة "العينة العشوائية البسيطة" والتي تعني أن "كل عنصر من مجموعة الدراسة يجب أن يكون له فرصة متساوية مثل بقية العناصر الأخرى".[3]

وهذا الاختيار كان مقصودا لكونه يستجيب لمعايير اختيار العينة متمثلة في:

- منح وحدات المجتمع الأصلي فرصا متساوية في الاختيار. فالعينة العشوائية البسيطة تعني أن كل تقرير من تقارير شيرين أبو عاقلة لديه فرصة متساوية لاحتمال تمثيله ضمن عينة الدراسة. أي أنه لم يتم اختيار أي تقرير لذاته، بل إن احتمال وجود أي تقرير هو مساو لاحتمال

---

[2] محمد البقالي، كيف تحكي القصة في التلفزيون، معهد الجزيرة للإعلام، نوفمبر 2002، الدوحة، ص: 24

[3] Dargent, Claude. " Chapitre 5 - Construire un échantillon ", Sociologie des opinions. Sous la direction de Dargent Claude. Armand Colin, 2011, pp. 93-114.

كل التقارير الأخرى، تماما كما يحدث عند الاختيار بين مجموعة عناصر متشابهة باعتماد القرعة.

- أن تكون العينة ممثلة بشكل فعلي للمجموعة الأصلية للدراسة، والمقصود أن تكون مجموع التقارير التي تشكل العينة تمثل فعليا بقية التقارير من خلال امتلاكها لمجمل خصائصها.

- تجنب التحيز في اختيار العينة، لأن اختيار تقرير دون الآخر بشكل مقصود قد يثلم في دوافع الاختيار نفسها، وبالتبع في النتائج التي تتوصل إليها الدراسة.

لكن كي تكون العينة فعلا تمثيلية، يجب أن يكون حجمها كافيًا، وإذا كانت العلوم الاجتماعية وعلوم الإعلام والاتصال لا تحدد بدقة هذا الحجم فيجب بشكل تلقائي أن يكون كافيًا بالشكل الذي يسمح بتعميم النتائج على مجموعة الدراسة برمتها، أي إن عدد التقارير المدروسة في حالتنا يجب أن يكون كافيا ليكون ممكنا تعميم نتائج الدراسة على تقارير شيرين أبو عاقلة. لذلك نعتبر أن دراسة 50 تقريرا من مجموع تقارير الزميلة شيرين هي عينة واسعة وممثلة بشكل كبير ونتائجها قابلة للتعميم.

لكن الدراسة الكمية وحدها غير كافية مادام الأمر يتعلق بقيم صحفية تحتاج تحليلا لكل وحدة/تقرير على حدة، ولذلك سنستعين بمناهج علم الاجتماع الكيفية لأن الجمع بين الدراسة الكمية والكيفية يمثل مصدرًا لإثراء البحث ومسلكا نحو شمولية المقاربة، وأداة لسد الثغرات، وتحقيقا للتكامل بين وجهات نظر متباينة، بحيث تكون "النتائج المتحصل عليها باعتماد طرق منهجية مختلفة في دراسة الموضوع ذاته أكثر مصداقية وإقناعا".[4]

---

[4] محمد جسوس وآخرون، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002، ص:9

لذلك كان الخيار في هذه الدراسة هو المزاوجة بين المنهجين الكمي والكيفي باعتماد الأدوات التفكيكية التالية: تحليل المضمون، تحليل الخطاب والملاحظة بالمشاركة.

وإذا كان تحليل المضمون وتحليل الخطاب يمثلان أداتين معروفتين في البحث الاجتماعي وبحوث الإعلام والاتصال بالشكل الذي لا يحتاجان معه إلى تعريف مفصل، فربما يجدر بنا أن نحدد بدقة أكبر المقصود بـ "الملاحظة بالمشاركة" فهذه التقنية تقوم على انخراط الباحث ضمن المجموعة المعنية بالدراسة بهدف تأسيس علاقة عضوية متينة بهذه المجموعة بما يمكنه من معرفة كافية من الداخل بمعتقداتها وسلوكياتها بالمعنى السوسيولوجي. هذا الانخراط يعني أن الباحث يصبح جزءا من المجموعة التي يدرس إنتاجها، بما يمكنه من معرفة دقيقة بسياقات وأدوات ومآلات عملية الإنتاج هذه.

ورغم عدم بروز هذه التقنية ضمن ثنايا هذا البحث فإن استعمالها كان قيّما في عملية التحليل، ذلك أن الحقل الصحفي هو مثل أي حقل مهني آخر له رموزه ومصطلحاته وقواعد اشتغاله الخاصة التي يعرفها المنتمون إليه أكثر من غيرهم، وانتماء الباحث لحقل الإعلام يجعله يعمل تقنية "الملاحظة بالمشاركة" التي تمنحه قدرة كبيرة على التحليل والتفكيك قد لا تتوفر لغيره من خارج هذا الحقل.

ولعل واحدة من أهم المعطيات التي قد تغيب عن الباحث من خارج حقل الإعلام هي الصعوبات الحقيقية والإكراهات التي يواجهها الصحفيون في الميدان خاصة في بيئة غير صديقة بل معادية بشكل مُعلَن.

الفصل الأول

شيرين أبو عاقلة والجزيرة... الفرص والأعباء في بيئة مهنية مختلفة.

لن أنسى أبدًا حجم الدمار ولا الشعور بأن
الموت كان أحيانًا على مسافة قريبة..

شيرين أبو عاقلة

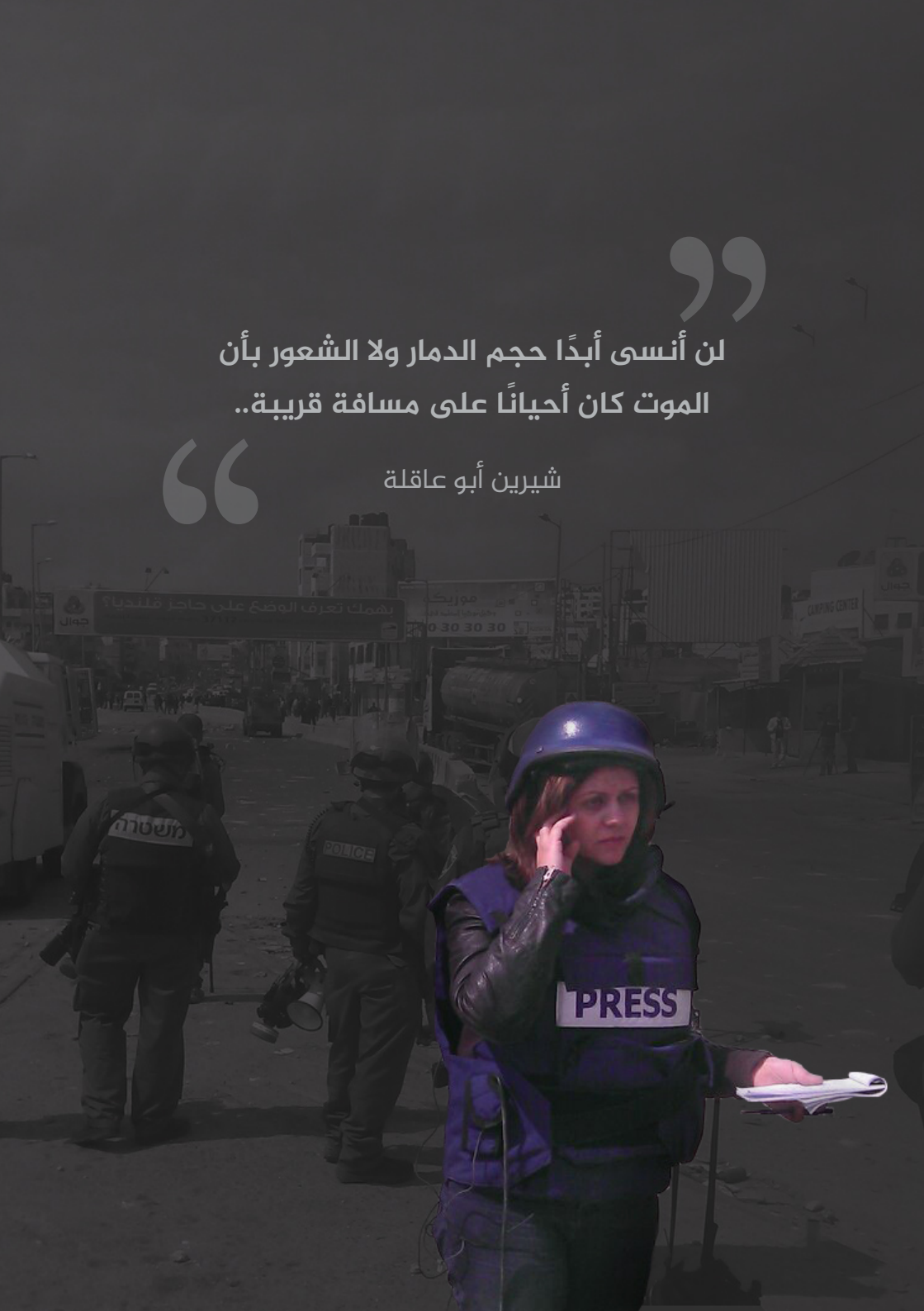

لا يمكن فصل شيرين أبو عاقلة عن قناة الجزيرة، ولا الجزيرة عن شيرين أبو عاقلة. منذ التحاقها بالقناة، وفي مدة قصيرة، تحولت شيرين أبو عاقلة إلى واحدة من أهم مراسلي الجزيرة وأكثرهن حضورا في تمثّل المشاهد العربي لقناة الجزيرة. وتَشكُّل هذه الصورة ما كان له أن يكتمل بدون تحقق ثلاثة شروط، أولها قضية فلسطين بكل ما تمثّله من رمزية في الوعي الجمعي العربي، وثانيها قناة الجزيرة بكل قيمها المهنية التي شكلت ثورة إعلامية حقيقية غير مسبوقة منذ استقلال البلدان العربية وتشكُّل الدولة الوطنية، وثالثها الأداء المهني لشيرين أبو عاقلة وحضورها المهني الرصين الذي منحها رصيدا من المصداقية لدى الجمهور العربي لم تزده التجربة إلا رسوخا.

نحن أمام علاقة ثلاثية تجمع الصحفي من جهة بمؤسسته التي يتبنى قيمها، وبقضيته التي ينتمي إليها. لذلك لا يبدو ممكنا تحليل المنتج الصحفي بمعزل عن هذا الانتماء المؤسساتي والقيمي، فالعمل الصحفي في نهاية المطاف ليس عملا إبداعيا فرديا بل هو نتيجة لعمل جماعي يرتبط فيه الصحفي بتسلسل هرمي له شروطه وإكراهاته. لذلك لا يمكن، والحال هذا، الحديث عن تجربة شيرين أبو عاقلة بعيدا عن تجربة الجزيرة، ولا عن القيم المهنية التي التزمت بها شيرين بمنأى عن تلك التي تلتزم بها الجزيرة.

في هذا الفصل سندرس تأثير الانتماء المؤسساتي للصحفي/المراسل على أدائه المهني، من خلال مسار التنشئة الاجتماعية الذي يخضع له كل صحفي ينتمي إلى مؤسسة إعلامية لها قيمها المهنية وخطها التحريري الذي يجب مبدئيا أن يكون متوافقا مع قناعات الصحفي نفسه، ومن ثم سننتقل إلى أثر ذلك على العلاقة التي جمعت شيرين أبو عاقلة مع قناة الجزيرة.

1. المراسل الصحفي والمؤسسة الإعلامية... مسار بناء القيم المهنية المشتركة

كما هو الحال بالنسبة إلى باقي المؤسسات الاجتماعية، تتسم وسائل الإعلام بكونها مؤسسات اجتماعية منظمة ومعقدة، والصحفي فيها ليس سوى إحدى حلقات هذا التنظيم الاجتماعي. وهو يمارس مهنته وفق تنظيم هرمي تسلسلي على نحو يجعل من العمل الصحفي نتيجة لمسارات اجتماعية أكثر منه نتيجة لعمل فردي.[5]

وبصيغة أخرى، فإن العمل الصحفي، وتركيزنا هنا ينصب على عمل المراسل التلفزيوني رغم أنه هو الذي يظهر على الشاشة ويوقع التقارير باسمه، وقد يتحول إلى نجم أو أيقونة في مؤسسته، فهذا المراسل يبقى رغم ذلك كله خاضعا من جهة لمنطق عمل الفريق الذي يجعل المنتج النهائي متأثرا بمشاركة كل عنصر من عناصر الفريق، ومن جهة ثانية لتسلسل هرمي يجعل عمله خاضعا لدوائر قرار مترابطة يضيق فيها الهامش المتاح للصحفي ويتسع بحسب الخط التحريري للمؤسسة وطبيعة القيم السائدة فيها والإكراهات التي تواجهها المؤسسة نفسها.

ويمكن ملاحظة أن المؤسسات الصحفية تشتغل عادة وفقا للنظرية الفيبيرية (نسبة إلى ماكس فيبر) المرتبطة بالعقلانية البيروقراطية، فالإنتاج اليومي والأسبوعي لمؤسسة إعلامية يقوم على تراتبية إدارية تضع خبرة أي صحفي في سياق الإكراهات المؤسسية المرتبطة بموقعه ضمن هذه التراتبية وعلاقته بزملائه وغير ذلك.[6]

---

[5] محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجهات التأثير، ط 3، دار عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص: 111

[6] Eric Neveu, Sociologie du journalisme, Collection Repère, 3eme éd, Paris, la Découverte, 2009, p: 42

وقد انتبه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو منذ تسعينيات القرن الماضي إلى أن الإكراهات التي يواجهها الصحفي في ممارساته المهنية ترتبط بشكل مباشر بالبنية الفوقية التي يسميها "الحقل الصحفي". ومن ثم يؤكد على أنه لفهم ممارسات الصحفي يجب الوعي بموقع مؤسسته ضمن هذا "الحقل الصحفي"، ومن ثم موقعه هو ضمن مؤسسته نفسها. لأن من شأن هذا "التموقع" المزدوج أن يمكّن من ملاحظة التفاصيل التي يتحرك ضمنها الصحفي.[7]

وعليه، فإن الصحفي، وفقا لبورديو، خاضعٌ لتأثيرات المؤسسة التي يعمل بها، بينما تخضع المؤسسة بدروها لتأثيرات ما أسماه بـ "الحقل الصحفي" التي تنتمي إليه. والنتيجة أن عمل الصحفي يتأثر بشكل مباشر بموقعه ضمن مؤسسته، وبموقع بمؤسسته ضمن الفضاء العام الذي تحدده مجموعة مؤشرات: حضور المؤسسة ومصداقيتها وجماهيريتها وقيمها المهنية والأخلاقية.... إلخ.

وتأثير قيم المؤسسة في الصحفي يبدو على هذا المستوى واضحا في عمل كل صحفي. ذلك أن المؤسسات الإعلامية مثلها بقية مؤسسات المجتمع لديها ثقافتها التي تختزن سياستها وقيمها. ودون الخوض كثيرا في حقل التعريفات، نكتفي بما أورده موريس تغيت في تعريفه لثقافة المؤسسة بكونها "مجموع المعتقدات والفرضيات الأساسية التي يتقاسمها أعضاء المؤسسة. وهي تشتغل بطريقة غير واعية، وتسمح بحل المشكلات، وتنقل باستمرار".[8]

أما إدغار شين فقد اعتبر أن ثقافة المؤسسة تمثل نمط القناعات المشتركة الذي تتشرّبه المجموعات باعتباره يساعده على حل

[7] Pierre Bourdieu, L'emprise du journalisme, Actes de la Recherche en Sciences Sociales, 1994, 101-102, pp. 3-9

[8] Maurice Thévenet, Audit la culture d'entreprise, Collection Audit, Editions d'Organisations, Paris, 1986, pp : 43-44

مشكلاتها والتكيف والاندماج الداخلي ويجري نقله إلى الأعضاء الآخرين باعتباره الطريقة الصحيحة للتصور والتفكير والإحساس في العلاقة مع هذه المشكلات.

وقد حدد المعايير التالية التي تساعد على فهم هذه الثقافة والقيم:[9]

- عادات الأفراد السلوكية والملاحظة التي يتصرفون بها، والتقاليد التي يلتزمونها والطقوس التي ينخرطون فيها خلال أوضاع مختلفة.

- المعايير المعتمدة في المجموعة وقيمها غير المعلنة.

- الفلسفة الرسمية أي السياسات المعتمدة والأيديولوجيات التي تحدد سلوك الفريق.

- ظروف الاشتغال على المستويين الجسدي والنفسي.

- المهارات المطلوبة وعادات التفكير ومنظومة اللغة المعتمدة.

2. الانتماء إلى قناة الجزيرة... الفرص المهنية والإكراهات الميدانية

وإذا اعتمدنا هذا التحليل الذي يدفع به بورديو وربطناه بالدور الأساسي الذي تحدده قيم المؤسسة وثقافتها في عمل الصحفي فإن انتماء شيرين أبو عاقلة للجزيرة يكون قد منحها فرصا كثيرة وحملها في المقابل أعباء كثيرة.

[9] Edgar H, Schein, Organizational culture and Leadership, 3rd Ed, Jossy Bass, California, 2004, p : 17

فأما الفرص التي يوفرها انتماء الصحفي لمؤسسة مثل الجزيرة فتتمثل أساسا في العمل في بيئة إعلامية عالمية التوجه بمعايير مهنية عالية، ينص ميثاقها للشرف المهني على "التمسك بالقيم الصحفية من صدق وجرأة وإنصاف وتوازن واستقلالية ومصداقية وتنوع دون تغليب للاعتبارات التجارية أو السياسية على المهنية، مع السعي للوصول إلى الحقيقة وإعلانها (...) بشكل لا غموض فيه ولا ارتياب في صحته أو دقته".[10]

وهذه القيم الواردة في ميثاق الشرف تكرر التأكيد على أولويتها في كل الوثائق المؤسسة لعمل قناة الجزيرة، حيث تم التنصيص في معايير عمل الجزيرة على "أولوية الإعلاء من قيمة المعايير المهنية على ما سواها من اعتبارات".[11]

إن هذه البيئة المهنية لا يمكن من هذه الناحية إلا أن تكون ملائمة لكل صحفي طامح لممارسة مهنية ملتزمة بقواعد المهنة وأخلاقيتها، وهو ما يجعل الانتماء إليها ينعكس بشكل مباشر على العمل اليومي للصحفي وعلى منتجه النهائي وعلى علاقته بجمهوره وبمصادر الأخبار وبمراكز القوى والنفوذ ذات الاتصال المباشر أو غير المباشر بعمل الصحفي، بل إن التأثير يطال كل مسار عملية إنتاج الخبر ومختلف الفاعلين الذين يرتبط بهم الصحفي خلال هذه العملية.

ثم إن قناة الجزيرة منذ تأسيسها عام 1996 قد شكلت علامة فارقة في تاريخ الإعلام العربي، إذ إنها ظهرت بعد عقود من هيمنة إعلامية غربية مطلقة مما جعل التدفق الإعلامي في تلك المرحلة يتم في اتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب، ونتيجة ذلك أن دول الجنوب، وإلى

---

[10] ميثاق الشرف المهني لقناة الجزيرة.
https://network.aljazeera.net/ar/our-values/standards#page-18

[11] نفسه

منتصف التسعينيات، كانت إما غائبة عن التغطية الإعلامية الدولية أو تتم تغطية أحداثها وفق رؤية استشراقية تعلي من شأن الصور النمطية والتصورات المسبقة وقد تتحول أحيانا إلى تغطية فلكلورية أو غرائبية. والدراسات بشأن هذا الموضوع أكثر من أن نحصيها.

أما القضية الفلسطينية بوجه خاص فمعلوم أن تغطيتها كانت تتم في سياق هذه الهيمنة الغربية بشكل منحاز تماما لإسرائيل، وحتى عندما تعلق الأمر بوسائل إعلامية غربية توصف بأنها مهنية وتعلن التزامها بالقواعد المهنية من نزاهة وموضوعية في تغطيتها، كما هو الحال لإذاعة "بي بي سي" على سبيل المثال فإن الدراسات أكدت انحيازها للرواية الإسرائيلية وتأثرها باللوبي الصهيوني والضغوط الإسرائيلية التي تمارس عليها، بل إن ذلك ظهر حتى من خلال سياساتها الداخلية مع محرريها الذين تحدثوا بحقائق عن الصراع تدين الطرف الإسرائيلي.[12]

لذلك فإن الانتماء إلى الجزيرة هو من جهة انتماء إلى قناة غيّرت قواعد "اللعبة الإعلامية" بإنهائها لعقود من الاحتكار الغربي للفضاء الإعلامي، وبكسرها للمسار التقليدي للتدفق الإعلامي المتجه من الشمال إلى الجنوب، من خلال نموذج جديد يتسم لأول مرة بتقديم منتج إعلامي مهني للجمهور العربي باللغة العربية أنتج في بيئة عربية.

وهو من جهة ثانية، انتماء لمؤسسة مثل ظهورها لحظة فارقة في تاريخ التغطية الإعلامية للصراع العربي الإسرائيلي. إذ لأول مرة سيكون بإمكان المشاهد العربي أن يتابع تغطية حيّة من داخل الأراضي المحتلّة تلتزم بقواعد المهنة وأخلاقياتها ولا تسقط في فخّ الدعاية ولكن دون مساواة بين الجلاد والضحية.

---

[12] انظر على سبيل المثال: حمدان، بثينة عبد المنعم، التغطية الإخبارية لـ بي .بي .سي للقضية الفلسطينية : نشرة "العالم هذا المساء" نموذجًا : الفترة ما بين تشرين ثاني-كانون أول، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة بيرزيت، 2008.

والواقع أن رؤية الجزيرة القائمة على "السعي للحقيقة بجسارة وأن تكون صوت من لا صوت له" وجدت تجسيدها الفعلي في تغطيتها للقضية الفلسطينية، حيث يصبح السعي للحقيقة المغيّبة منذ عقود بمنزلة صوت للمضطهدين والمظلومين ممن لا صوت لهم.

وسياق مثل هذا لا يمكن إلا أن يكون إيجابيا في عمل أي صحفي يطمح لممارسة المهنة وفق قيمها الفضلى، أما إذا كان فلسطينيا ويغطي أحداث فلسطين فقيم الجزيرة السالفة الذكر تمنحه فرصة تسجيل الفرق عن بقية التغطيات التي تقوم القنوات الأخرى سواء منها الغربية أو حتى العربية التي لا تتبنى نفس الموقف فيما يخص القضية الفلسطينية.

وعلى هذا المستوى يمكن القول دون موارية إن العمل لصالح الجزيرة مثّل فرصةً لشيرين أبو عاقلة لتكون جزءا من فريق سيكتب تاريخا جديدا للإعلام العربي وللقضية الفلسطينية بعيدا عن تحيّزات الإعلام الغربي ومواقفه المسبقة، وسيبني "سرديّة" تعيد الاعتبار للعمل الميداني الذي يوثّق بالصوت والصورة الحقائق على الأرض ويوليها الأهمية القصوى دون التفات للأحكام المسبقة والصور النمطية التي تسببت على امتداد عقود في تغطية تكاد تكون شبه أحادية للقضية الفلسطينية.

لكن هذا الانتماء لم يكن بدون ضريبة. وضريبته تتمثل في العمل في بيئة معادية، ذلك أن الالتزام بالمعايير المهنية التي تعلي من شأن الحقيقة، لا يمكن إلا أن يجعل الصحفي في مواجهة مباشرة مع جيش احتلال يعادي بشكل تلقائي كل من ينطلق من رؤية لا تتوافق مع روايته التي يقدمها وتستقبلها الصحافة الغربية في معظم الأحيان بحفاوة منذ النكبة.

لذلك لم يكن موقف جيش الاحتلال من الجزيرة ومن صحفيّيها مفاجئا ولا سرا، فقد عُبر عنه بتصريحات عدائية متكررة وكثيرة، بل وحوّله إلى استهداف مباشر لمكاتب الجزيرة وطواقمها كما حصل في حرب غزة الأخيرة، واعتداءات على صحفيي الجزيرة مرات كثيرة، قبل أن يرتكب جريمته الأكبر وهي أن يغتال شيرين أبو عاقلة نفسها في وضح النهار بدم بارد.

هكذا يمكن ملاحظة أن العمل لصالح قناة الجزيرة في فلسطين المحتلة، بالقدر الذي يمنح كل صحفي مهني فرصة تجربة مهنية استثنائية تقوم على الإعلاء من قيم المهنة، فإنه يحمّله عبء العمل في بيئة معادية تجعله في مرمى خطر الاحتلال.

لكن هل كونك فلسطيني الانتماء والهوى، وتعمل في قناة تضع الإنسان في صلب اهتمامها، خاصة إذا كان هذا الإنسان مضطهدا، بما يجعل تغطيتها القائمة على نقل الحقائق في الأراضي المحتلة تخدم بشكل تلقائي الرواية الفلسطينية، هل ذلك يعني الانحياز أو التساهل في المعايير المهنية المعتمدة؟

إن حدث ذلك، سيصبح الأمر أقرب الى الدعاية منه الى الممارسة المهنية الملتزمة بمعايير المهنة. لكن في المقابل: هل بوسع الصحفي/الإنسان أن يكون محايدا تجاه قضيته، أو تجاه قضية تعنيه مباشرة؟ وخاصة عندما يتعلق الأمر بقضية بحجم القضية الفلسطينية؟

الواقع أن هذا النقاش بشأن الحياد المهني ليس جديدا وليس خاصا بالقضية الفلسطينية، بل إن النقاش بشأن الانخراط والحياد مطروح منذ ظهور الصحافة. هل يجب أن يكون الصحفي "محايدا" أم "منخرطا"؟ هل يجب أن يكتفي بنقل الأحداث بشكل "بارد" أم أنه يعتبر نفسه صاحب موقف يدافع عنه؟

يمكن القول إنه في مجال الصحافة يبدو تمثل الدور الذي يستبطنه الصحفيون بشأن مهنتهم محدّدا لما يعتبرونه سلوكًا متوقّعًا منهم ارتباطًا بوضعهم. ذلك أن التمثل الذي تحمله المجموعات حيال نفسها بما لديها من رؤية وتصوّر يحدد رؤيتها لموقعها في العالم الاجتماعي. ويلتقي هذا التمثّل مع مفهوم الدور المجتمعي الذي يتشكّل، وفق غي روشيه، من قواعد يخضع لها عمل الأفراد الذين يشغلون موقعًا أو وظيفة خاصة في جماعة أو مجتمع، وهذا الدور يُعتبر محدّدًا في "بنية السلوك الاجتماعي التي تنجم عن الإكراه الذي تمارسه الأنماط الجماعية" [13].

ويرتبط جدل دور الصحفي المفترض بشكل مباشر بالطريقة الأمثل للممارسة الصحفية المسؤولة، وبالتعريفات المتنافسة لوظائف الإعلام في المجتمع، والتقديرات المتباينة لحاجة الجمهور وحقّه في الإعلام والرؤى المختلفة لطبيعة الأخبار ذاتها، وهو ما أثار نقاشًا حول الدور الذي يجب أن تضطلع به الصحافة وما إذا كان دورًا مشاركًا فاعلًا أم دورًا موضوعيًا[14] ، فالدور الفاعل أو المشارك يمنح وسائل الإعلام حقّ القيام بوظيفة "المراقبة الاجتماعية" للمجتمع، وهي تحرص من خلال هذه المراقبة على تجنيب المجتمع الوقوعَ في الانحرافات الخطِرة.

أمّا الدور المحايد، فيقوم على حصر مهمّة الصحفي في تقديم المعلومة إلى الجمهور من دون تأويل. وشبّه موريس جانوفيتس الدورَ المحايد بـ"حارس البوّابة" والدورَ المشارك بـ"المحامي الشفيع"[15]؛

---

[13] Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale, tome I, L'Action sociale (Paris: Seuil, 1970), p. 45.

[14] ألفت حسن أغا، "القائمون بالاتصال: دراسة لاتجاهاتهم نحو دور الاتصال الجماهيري في المجتمع"، في: حسن أغا وآخرون، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال (القاهرة: دار المعرفة الجماعية، 1992)، ص 124.

[15] Morris Janowitz, "Professional Models in Journalism: The Gatekeeper and the Advocate," Journalism & Mass Communication Quarterly, vol. 52, no. 4 (December 1975), p. 660.

فحارس البوّابة يركّز على الفصل بين الخبر والرأي، فيما يقوم المحامي بالدفاع والنقد والتفسير.

ولعل تصنيف أنطونيو غرامشي للمثقفين ينطبق على الصحفيّين؛ إذ يعتبر أن المثقّف "المبدع" الذي يصوغ الأيديولوجيا هو أهم وزنًا من "المنظّم" الذي يدير الأيديولوجيا أو ينشرها، ومن مجرّد "المربّي"، وهكذا إلى أن نصل إلى من ليست له أي مبادرة وينحصر عمله في التنفيذ[16].

النزاع هنا هو بين وظيفتين اجتماعيتين: "الوظيفة العاكسة" التي تعتبر أن الصحافة تعكس الواقع كما هو بإيجابياته وسلبياته من دون تدخّل، و"الوظيفة الفاعلة" التي تعتبر أن على الصحافة التطلّع إلى استنبات واقع جديد مختلف، وليس مجرّد نقل صورة عن الواقع القائم. والحدود بين هاتين الوظيفتين غير مرسومة بدقّة، بل ثمّة تداخل كبير بينهما.

هذا الخلاف ليس مجرّد نقاش فكري نظري، بل يجد أثرَه في الممارسة المهنية؛ فالدراسات في الولايات المتحدة، مثلًا، بيّنت ميل الصحفيين والقائمين بالاتصال إلى تفضيل الموضوعية وعدم المشاركة، خلافًا للمدرسة الفرنسية التي عُرف عنها تاريخيًا تفضيلُ انخراط الصحفيين الحزبي والأيديولوجي.

لكن هذه الخلاصات يجب ألّا تؤخَذ على نحو مطلَق؛ إذ بيّنت دراسة أنجزها الباحث الأميركي جون شمالزباور والباحثة الفرنسية سيريل لوميو أن الصحفيين الفرنسيين الذين يصفون أنفسهم بأنهم موضوعيون وغير منحازين، أقرّوا بأنهم كثيرًا ما يخرقون هذه القواعد بسبب عدد من العراقيل العملية، من قبيل الإكراه الزمني ومحدودية وسائل العمل

---

[16] الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، المحمدية: مطبعة فضالة، 2006، ص 38.

والتخوّف من فقدان مصادر الخبر والتراتبية الإدارية وغيرها[17]. أما الصحفيون الأميركيون، الذين يعتمدون عادةً مفهوم "الموضوعية"، لا يعتبرون أنفسهم "محايدين" تمامًا.[18]

لكن ماذا عندما تكون صحفيا فلسطينيا؟ أرضك محتلة وشعبك مشرد يتعرّض للانتهاك والاعتداء من قبل الاحتلال كل يوم؟ هل يمكن للصحفي أن يحافظ على حياده البارد وهو يشهد كل هذه الانتهاكات أم أنه سيتحول إلى منخرط في القضية مشتبك بها إلى درجة قد تثلم في مصداقيته وتنقله من مصافّ الصحفي إلى مصافّ الناشط ؟

الواقع أن هذا الإشكال ليس خاصا بالقضية الفلسطينية وإن كانت هذه القضية تمثل تجسيدا بالغ الوضوح له. بل هو مرتبط بكل القضايا التي تكون فيها خطوط التماس بين "الجلاد" و"الضحية" واضحة ومعلنة، مثل قضايا الاستعمار أو اضطهاد الأقليات العرقية أو حكم الأبارتايد أو غيرها. فثمة طرف قوي مستعمر، أو حاكم يملك كل أسباب القوة ويسلطها على الطرف الأضعف الذي هو صاحب الأرض كما في حالات الاحتلال، أو صاحب رأي كما في حالات قمع حريات التعبير أو بكل بساطة صاحب عرق أو لون مختلف كما هو الحال بالنسبة لأنظمة الحكم العنصري.

في القضية الفلسطينية تجمعت هذه العناصر كلها لتجعل من المشهد شديد الوضوح بين محتل للأرض معتد على أصحابها ومنتهك لحقوقهم وفق كل مقررات القانون الدولي، وبين شعب يواجه كل أنواع الانتهاك يوميا من قتل واعتقال وتشريد وتهجير وهدم للمساكن.

---

[17] Cyril Lemieux, De Certaines différences internationales en matières de pratiques journalistiques: comment le décrire? Comment les expliquer ? Dans : Jean-Baptiste Legavre (dir), La presse écrite : objets délaissés, Harmattan, Paris, 2004, p : 30

[18] Ibid, p: 30

على الرغم أن الصورة بهذا الوضوح، فذلك لا يعني أنه ثمة ضرورة للاختيار في التغطية الصحفية بين "الحياد البارد" و "الانحياز الفاضح" أو بين "المهنية" و "الدعاية"، بل ثمة خيار ثالث يبتعد بالتغطية عن الحياد البارد الذي يساوي بين الضحية والجلاد، والقاتل والقتيل، دون أن يقع في المساومة على الحقيقة، وهو يمنح للضحايا ممن لا صوت لهم صوتا دون أن يسقط في فخ الدعاية. يتعلق الأمر بخيار يستعمله حتى الباحثون في العلوم الاجتماعية لتجنب السقوط في تأثير الانخراط في القضية التي يبحثونها، يسمى: "أخذ المسافة". (La Distanciation)[19].

والمقصود بهذه المسافة هو اعتماد الصحفي للقواعد المهنية دون أي تنازل أو مساومة مع الحقيقة، لكن مع التزام أخلاقي يكشف الانتهاكات التي تتعرض له الفئات المستضعفة. إن الأمر يصبح انتصارًا للإنسان وللمهنة في الوقت نفسه. ومبدأ الانتصار للإنسان يحل هذه الإشكالية المفتعلة. فلا معنى لحياد بارد يجعل المجرم والضحية على قدم المساواة.

ثم إن هذا المبدأ يقوم على أساس أن الحقيقة هي جوهر العملية الإعلامية، وأنه في صراع بيّن مثل هذا، بين معتدٍ ومعتدىً عليه، يكفي الصحفي أن ينقل الحقيقة، فلا شيء يطلبه المعتدى عليه أكثر من الحقيقة. وهذا يسهل مهمة الصحفي المهني. إذ ليس عليه أكثر من أن يحرص على نقل "الحقيقة" كما يراها في الميدان. بذلك يكون قد انتصر للإنسان وللمهنة معا.

---

[19] Elias Norbert, Engagement et distanciation. Contributions à la sociologie de la connaissance. Traduit de l'Allemand par Michel Hulin, FAYARD – 1983

والواضح أن الزميلة شيرين أبو عاقلة ومعها قناة الجزيرة التي تنتمي إليها قد استوعبا هذه المعادلة جيدا، والنتيجة كانت تقارير تنجز بهاجس نقل الصورة الحقيقية دون دعاية أو تضليل مع التزام تام بقواعد المهنة وأخلاقياتها. لذلك كانت القصة الإنسانية هذه التقارير كما سنرى في الفصل المقبل حاضرة بقوة بل شكلت عماد التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة على امتداد مسارها المهني.

الفصل الثاني

الإنسان والقصة الإنسانية في تقارير شيرين أبو عاقلة

”

اخترت الصحافة

كي أكون قريبة من الإنسان

“

شيرين أبو عاقلة

يمكن أن نعرف التقرير التلفزيوني بأنه "حكيُ القصة بالصوت والصورة من الميدان"[20]. وعليه فإن أركان التقرير التلفزيوني وفق هذا التعريف أربعة: القصة- الصوت- الصورة- الميدان.

والإنسان وإن لم يُذكَر ضمن هذه الأركان فإنه حاضر ضمن كل ركن بما يجعل منه جوهر التقرير التلفزيوني وأساسه ومبرر وجوده.

فعندما نتحدث عن القصة، فلا قصة بدون إنسان، وبقية الأركان إنما تخدم هذا الجوهر. وفي تعريف آخر "قصة إنسان يتحرك" أو قصة إنسان يكدح.

لا تقرير تلفزيوني دون إنسان. التقارير تحكي قصص الناس. وهم في معظم الأحيان أناس عاديون يعيشون أوضاعا غير عادية قد تكون حربا أو لجوءا أو نزوحا أو كوارث...

تلك القصص التي يحس المشاهد أنه معني بمشاهدتها، وقد يجد نفسه فيها، تماما كما يحدث في السينما أو في الفيلم الوثائقي حيث يرتبط المشاهد بشخصيات الفيلم تعاطفا أو نفورا[21].

وقوة التلفزيون وسحره، وخاصة في شقّه المتعلق بالعمل الميداني، تتمثّل في كونه يمنح الصحفي الفرصة لحكي قصص الناس، ويمنح في المقابل المشاهد إمكانية مشاهدة هذه القصص والتفاعل معها.

لكن الحكي له طرائقه وفنونه. وليس الجميع قادر بحكيه على أن يشدّ انتباه الآخرين. يحدث هذا في الحياة اليومية، الذين يملكون قدرة السرد

---

[20] محمد البقالي، كيف تحكي القصة في التلفزيون، مرجع سابق، ص:16

[21] نفسه، ص:17.

يكونون أقدر من غيرهم على جذب الانتباه والتأثير في الآخرين. ألم يقل الروائي العالمي غابرييل غارسيا ماركيز "عشت لأروي"[22] . أما في التلفزيون فالأمر ليس متروكا للصدفة والحدس، هناك الملكة وهناك التدريب وهناك الخبرة، وشيرين أبو عاقلة جمعت الشروط الثلاثة باقتدار.

وإذا كانت قوة الحكاية مرتبطة بقدرة الراوي على الحكي، فهي تجد مخزونها في طبيعة بيئتها وزخمها، فثمة بيئات تزخر بالقصص أكثر من غيرها. وعندما يتعلق الأمر بفلسطين فهي منجم للحكايا التي لا تنضب، وقصص الناس فيها قوية وصادقة ومؤثرة، فقد تجمعت فيها عناصر القصة القوية والمؤثرة: هناك الإنسان وهناك الاحتلال وهناك المقاومة وهناك الحياة التي يجب أن تستمر، بل إن تفاصيل الحياة اليومية العادية مثل التعليم والاستشفاء وعبور المعابر التي تمثل في مناطق أخرى من العالم فعلا اعتياديا يندرج ضمن الروتين اليومي تصبح قصصا قوية ومدهشة تحت الاحتلال، علاوة على كونها فعل مقاومة ما دام الاحتلال يحول بين الفلسطينيين وبين كل هذه التفاصيل اليومية الاعتيادية.

وبدون حاجة إلى اللجوء إلى تحليل كل تقرير على حدة يمكن القول بوثوق إن تقارير شيرين أبو عاقلة كلها قامت، كما هو متوقع، في جوهرها على قصص الناس حياتهم اليومية وفي علاقتهم مع الاحتلال ومقاومتهم له.

---

[22] Gabriel Garcia Marquiz, Vivre pour la raconter, Traduit de l'espagnole par: Annie Morvan, Bernard Grasset, 2003

1. حكي القضايا الكبيرة من خلال تفاصيل صغيرة:

لنأخذ هذا التقرير الذي بث في 26 سبتمبر أيلول 2008، وموضوعه: أداء 300 ألف فلسطيني صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان[23].

يبدأ التقرير بحكي قصة مجموعة من المصلين الذين يشدون الرحال للصلاة في المسجد الأقصى. ونسمع صوت شيرين معلقا:

بالكاد تمكن أولئك من النوم، فبانتظارهم رحلة طويلة وشاقة إلى مدينة القدس لأداء صلاة الجمعة اليتيمة في شهر رمضان والتي تتزامن مع ليلة القدر.

[23] تاريخ البث: 26 سبتمبر 2008، مدة التقرير: 2:46 دقيقة، رابط التقرير:
https://www.youtube.com/watch?v=uhYWdZZQh2Q&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=49

فالتقرير يبدأ بتفصيل إنساني صغير ولكنه مهم يبرز شوق الفلسطينيين للدخول إلى المسجد الأقصى، فهم **"بالكاد تمكنوا من النوم من أجل التمكن من الذهاب إلى المسجد الأقصى في رحلة شاقة وطويلة".** لكن هذا التفصيل الصغير كان قادرا على إبراز أهمية هذه الرحلة بالنسبة لهؤلاء المصلين.

هذا ما نسميه: حكي القضايا الكبيرة من خلال تفاصيل صغيرة.

لكن بقدر أهمية هذه الرحلة للمصلين، تجد الصعوبات التي يواجهونها فهناك احتلال يحول دون استمرار الرحلة إلى منتهاها بالنسبة للرجال ممن هم تحت الخمسين والنساء تحت سن الخامسة والأربعين.

قوة الكلمات تلتقي في سرد الحكاية مع قوة الصورة.

فالتقرير ينقلنا من أجواء الرحلة إلى أجواء القمع التي يواجهها المصلون. الصورة أبلغ من كل تعليق: جنود يضربون المصلين ويحولون بينهم وبين مواصلة الرحلة.

والتعليق الذي يرافق الصورة يوضح للمشاهد ما استشكل من تفاصيلها: فيحدد المكان ويذكر بعض التفاصيل التي لا يمكن للصورة أن توضحها. فنسمع صوت شيرين يقول:

"على حاجز بيت لحم جنوبي القدس، تعرضت عشرات النساء للشتم والضرب على يد الجنود، وعند حاجز قلنديا شمال القدس اعتقل عدد من الشبان الذين حاولوا اختراق الحاجز. فالتعليمات لا تسمح إلا للرجال فوق سنّ الخمسين والنساء فوق سنّ الخامسة والأربعين بالمرور".

2. قوة الصورة... وقوة الكلمة

من خلال قصة هؤلاء المصلين تتوسع شيرين في الموضوع، وتنتقل إلى داخل القدس العتيقة حيث صور الحواجز والجنود الإسرائيليين الذين يغلقون الممرات ويحولون دون وصول المصلين إلى الأقصى.

ولأن القصة تحكى على لسان أصحابها، فسنستمع على امتداد التقرير لمجموعة من الشهادات من الفلسطينيين الذين كانوا يُمنّون النفس بحقّ أصيل هو حق العبادة قبل أن يُواجَهوا بالمنع الذي فرضه عليهم الاحتلال. وهذه المرة من خلال الأمنيات التي كان بعض المصلين يرغبون في رفعها إلى الله داخل المسجد الأقصى.

فنشاهد تلك السيدة المقدسية التي ترفع أدعيتها أمام الكاميرا **"بتمنى السعادة، بتمنى يصير لفلسطين حلّ، ما تظل هيك البلاد علينا. حرام عليهم والله حالتنا حالة".**

3. القصة الإنسانية: ليست بالضرورة مأساوية

لكن القصة الإنسانية في تقارير شيرين أبوعاقلة وخلافا لما قد يتوقعه كثيرون ليست بالضرورة قصة مأساوية أو مؤلمة.

صحيح أن الاحتلال وما يرتكبه من انتهاكات في حق الشعب الفلسطيني تؤطّر القصص التي يمكن معالجتها خاصة في أوقات

التوتر أو المواجهات. وهي قصص بطبيعتها تندرج ضمن ما يمكن تسميته "الحياة تحت الاحتلال" لكن في ثنايا القصص التي توثق لهذه الانتهاكات وربما لقصص الموت ثمة قصص أخرى تضج بالحياة، ليست بالضرورة قصصا "سعيدة" ولكنها قصص الحياة اليومية للناس حيث يقاوم الناس مرتين: مرة في مواجهة الاحتلال وثانية لمواجهة صعوبات الحياة.

في هذا التقرير نفسه الذي تحكي فيه شيرين قصة المصلين الذين مُنعوا من الوصول إلى المسجد بالقوة، ثمة مشاهد أخرى تنبض بالحياة. فالمصلون الذين يتمكنون من الدخول يحوّلون القدس إلى مدينة نابضة بالحياة حيث تشهد المحالّ التجارية حركة اقتصادية غابت عن المدينة بقية أيام الأسبوع.

وهذا ما يعبر عنه التقرير من خلال مقابلة مع تاجر من القدس، يقول فيها "**مدينة القدس يوم الجمعة بتكون أسعد الأيام فيها، بس طول ما هم بدخلوا أهل الضفة الغربية علينا، لأنه منشوف أهالينا منشوف أمهاتنا منشوف أباءنا**".

أو تاجر آخر يقول "**يوم الجمعة كتير كويّس عشان في إفراج شوي على الناس، بقية الأيام فاضية البلد. البلدة القديمة يعني شبه خالية تقريبا**".

فالقصة الإنسانية هنا تُحكى على لسان أصحابها. فذاك أدعى لمصداقيتها وشدًّا لانتباه المشاهد.

4. الأرقام في خدمة القصة الإنسانية:

إن حكي القصة الإنسانية لا يعني بأي شكل من الأشكال الإغراق في وصف الأوضاع الصعبة للمعنيين بهذه القصة بمبالغة، بل يعني أولا "نقل الحقيقة" دون تهوين أو تهويل. وليس ثمة أكثر تعبيرا عن الحقيقة من أمرين: الصورة والأرقام.

فأما الصورة فهي عماد التقرير التلفزيوني وأساس وجوده، فلا تقرير دون صورة. وقوتها في تأكيد صدق القصة. وأما الأرقام فهي شاهد غير قابل للدحض وتسمح بتعميم النتائج. ذلك أن التقرير التلفزيوني عندما يحكي القصة إنما يقدم نماذج محدودة عن القضية، فليس مطلوبا من التقرير التلفزيوني أن ينقل قصص المصلين كلّهم الذين مُنعوا من الوصول إلى المسجد الأقصى وإنما يختار قصّة أو اثنتين يسمح بهما زمن التقرير الذي هو بطبيعته ضيّق ومحدود، على أن هذه القصة يمكن تعميمها على بقية أفراد المجموعة الآخرين الذين هم في حالة الأشخاص نفسها الذين ظهرت قصتهم. تماما كما يحدث في استطلاعات الرأي، إذ ليس ضروريا أن تستطلع آراء الناس كلّهم في موضوع مُعيّن لتحصل على نتائج قابلة للتعميم، وإنما يكفي اختيار عينة مناسبة وتمثيلية لتكون النتائج المحصّل عليها قابلة للتعميم.

والأرقام تقوم بهذا الدور المهم. في هذا التقرير قدمت لنا شيرين أبو عاقلة قصة المصلين الذين منعوا من الوصول إلى المسجد وتعرضوا للضرب، لتنتقل بعد ذلك لتخبرنا عن إحصاءات الأمم المتّحدة التي تقول إن "نحو ستمئة وثلاثين حاجزا عسكريا ما زالت تقطّع أوصال الضفة الغربية، لكن الوضع في مدينة القدس يبقى الأصعب، في ظلّ المخططات الإسرائيلية لإطباق السيطرة الإسرائيلية عليها".

فستمئة وثلاثين حاجزا وفق الأرقام الرسمية تنقل القصة إلى مستوى آخر يتمثّل في أن منع الفلسطينيين من حرية التنقل سواء للصلاة أو للاستشفاء ليس حالة منفردة أو خاصة ولكن حالة عامة منتشرة. وهو ما يشير إلى أهداف أكبر للاحتلال سيعبر عنها في التقرير نفسه زياد الحموري، مدير مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية عام 2008، وهو "إبقاء أقلية عربية في القدس وإخراج حوالي أكثر من 200 ألف مواطن فلسطيني إلى خارج القدس".

فالأرقام هنا تسمح بالانتقال من الحالة الخاصة إلى الحالة العامة، فيفهم المشاهد أن الأمر لا يتعلق بحالة استثنائية، ثم إنها تمنح دليلا لا يقبل الدحض على الانتهاكات، خاصة وأن هذه الأرقام صادرة إما عن الاحتلال نفسه، أو عن منظمات مستقلة.

5. القصة الإنسانية... الصحافة المتعاطفة دون انحياز

في تقرير آخر حول استشهاد شاب فلسطيني برصاص مستوطن غرب رام الله[23] ، تحكي شيرين قصة مقتل شاب فلسطيني برصاص مستوطن.

في هذا التقرير تلتحم الصورة بالكلمة لتحكي قصة طالب شاب خرج في تظاهرة احتجاجية ضد الاعتداءات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين لتصيبه رصاصة أطلقها مستوطن بنية القتل.

---

[24] تاريخ البث 3 آذار 2008، مدة التقرير: 2:29 دقيقة
https://www.youtube.com/watch?v=6Z7illoYApI&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=97

يبدأ إيقاع القصة عاليا من خلال مشاهد نقل الشاب إلى المستشفى ومحاولة إسعافه. وفي التعليق تخبرنا شيرين بقصة الشاب فنعرف أن اسمه **"محمد شريتح، وأنه طالب في الثانوية العامة من قرية المزرعة الغربية".** من خلال متابعة القصة يتولد لدى المشاهد أمل في إمكانية إنقاذه لكن هذا الأمل سرعان ما ينطفئ مع إعلان شيرين أن محمد **"لن يهنأ بحفل تخرّج هذا العام، فلم تتمكن تلك الأيدي من إسعافه في اللحظات الأخيرة من حياته".**

هكذا يبنى التقرير كله على قصة الشاب الشهيد، فتفتتح التقرير باسمه وبنبذة عنه، لترافقه بعد ذلك في رحلة الإنقاذ إلى المستشفى التي لن تحول دون استشهاده.

واختيار شيرين لذكر اسم الشاب الشهيد في بداية التقرير لم يكن عبثا. فالأمر يندرج أولا ضمن قاعدة تقديم المعلومات اللازمة التي لا تظهرها الصورة، وثانيا ضمن ما يمكن تسميتها بـ"الصحافة المتعاطفة" مع الإنسان عندما يكون مضطهدا. وهنا لابد من توضيح المقصود الصحافة المتعاطفة.

عندما نتحدث عن الصحافة المهنية، فمن المؤكد أنه لا مجال للانحياز أو السقوط في فخ الدعاية، ولذلك فليس المقصود بالتعاطف هنا الانحياز، أو عدم الالتزام بالقواعد، بل المقصود ألا ينسى الصحفي أن أحد الأدوار للصحافة هي مساءلة السلطة/والأقوياء. وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال كشف الحقائق والانتهاكات التي يرتكبها الطرف الأقوى.

ثم إن الصحافة المتعاطفة تعني ضمن ما تعني الدفاع عن حقوق الناس الأساسية وعلى رأسها الحق في الحياة، ولكن ذلك لا يتم بمنطق البيانات السياسية التي تعلن موقفا داعما لهذا الطرف ومعاديا لذاك، ولكن يعني اعتماد قواعد مهنيّة تجعل أولويتها إظهار الحقيقة التي يرغب الطرف الأقوى في إخفائها، وكشف حقيقة الانتهاكات التي تتعرض لها الضحية.

وذكر اسم الشاب الشهيد، يعني ضمن ما يعني أن الشهيد ليس مجرد رقم ضمن أرقام الشهداء، بل هو شخص له اسم وأسرة وحياة تشبه حياة كثير من المشاهدين الذين يتعرفون على أنفسهم فيه، وهو بذلك يقربهم منه عندما يتبين لهم أن الأمر يتعلق بإنسان له حياة وآمال وطموحات وإحباطات وصعوبات تماما كتلك التي يواجهون مع فارق أنه يعيش تحت الاحتلال ووجد نفسه في مواجهة رصاصة أنهت حياته دون أي جرم ارتكبه. وهذا القرب النفسي يخرج بالضحايا من دائرة الأرقام الباردة بما يساهم في جذب انتباه المشاهد ويساعد في رفع منسوب التعاطف.

ويمكن القول دون تردد إن شيرين أتقنت صناعة هذا "القرب النفسي" بين أبطال تقاريرها والمشاهدين من خلال اعتماد قصص إنسانية تعبر عن الموضوع الذي يتطرق إليه التقرير التلفزيوني، فيخرج بذلك التقرير من الخطاب التقريري أو المباشر ليعتمد أسلوب الحكي القائم على القصة الإنسانية بالشكل الذي يمكّن من جذب الانتباه وتحقيق التعاطف المطلوب تجاه ضحايا الاضطهاد.

6. القصة الإنسانية... قوة التكثيف

وهنا مثال آخر، هو تقرير حول تسليم إسرائيل للفلسطينيين لإخطارات بهدم مساكنهم ببلدة سلوان[26] . في هذا التقرير تحضر القصة الإنسانية منذ بداية التقرير.

فيبدأ التقرير بصورة لشيرين مع أصحاب بيت تلقّوا إخطارا بهدمه. ومع الصورة يضعنا التعليق بصوت شيرين في تفاصيل جديدة، فنعرف أن الأمر يتعلق بنضال الرجبي الذي تلقّى خلال بضعة شهور **"إخطارات بهدم منزله في بلدة سلوان في مدينة القدس. طالبت جميعها ساكني البيت بإخلائه بحجة عدم الترخيص".**

لكن لا بد من الانتباه إلى أن التقرير التلفزيوني بطبيعته مختصر، لأن المراسلة ستحكي القصة كلها في دقيقتين وثمانية عشر ثانية. ولذلك

[25] بث بتاريخ 14 مارس 2014، ومدته 2:18 دقيقة وهذا رابطه:
https://www.youtube.com/watch?v=yNczGGSn2VY&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=100

فإحدى أهم ميزات القصة في التقرير التلفزيوني هي التكثيف والاختصار وعدم التكرار. والتكرار لا يشمل فقط نص التعليق، لكن أيضا ما يرد في المقابلات أو الصور. فيصبح التقرير عبارة عن وحدة متكاملة بين عناصره الثلاثة: التعليق والصورة والمقابلات.

لذلك فشيرين تكتفي في هذا التقرير بتقديم صاحب البيت وتفاصيل محدودة عن المشكلة التي يواجهها والمتمثلة في رغبة السلطات الإسرائيلية في هدم بيته، ولكن في هذا التقديم تكون قد اعتمدت ما نسميه بقانون القرب النفسي، فذكرت اسم الشخص ومشكلته المتمثلة في رغبة الاحتلال في هدم بيته. وهي مشكلة تجعل التعاطف معه أمر بديهي بالنسبة لكل شخص يرفض الظلم وانتهاك حقوق الناس.

بعد هذا التقديم المختصر والمكثف الذي لا يتجاوز 15 ثانية، تمنح شيرين الكلمة لصاحب القضية ليحكي قصته بنفسه. فأفضل من يحكي القصة هم أصحابها. مع حرصه على أن يورد تفاصيل إضافية وذات حمولة إنسانية لا يمكن للمراسل بحكم التزامه بقاعدة "الحياد المهني" المفترض فيه أن يوردها. فنسمع نضال الرجبي، صاحب المنزل المهدد بالهدم يقول:

"الواحد بحط دم قلبه عشان يبني الدار، يسكن فيها، يضب ولاده، يقعد هو وولاده. همّ بجوكي، كلّ حتّة بجوكي كل حتّة بجوكي بدنا نهدّ".

تتواصل فصول القصة. ويرتفع الإيقاع "الدرامي" فيها من خلال مرافقة نضال إلى داخل بيته المهدد بالهدم. ونعرف من خلال الصورة والتعليق أن الأمر يتعلق ببيت بسيط، يعيش فيه **"نضال مع زوجته وأبنائه الخمسة"** وأن البلدية **"ترفض مدّه بالماء بحجّة عدم الترخيص"** وأنه **"حاول مرارا الحصول على رخصة بناء لكنه قوبل بالرفض".**

هكذا في النصف الأول من التقرير الذي لا تتجاوز مدته دقيقة وربع، يكون المشاهد قد:

- فهم القصة من خلال المعطيات الواردة، ليس فقط من خلال النص ولكن أيضا من خلال الصورة والمقابلات والصوت الطبيعي، والعلاقة بين هذه العناصر تكاملية.

- جذب انتباه المشاهد بحكم أن القصة مثيرة للاهتمام.

- التعاطف الطبيعي الذي يتحقق بحكم طبيعة القصة من جهة وتقنيات السرد من جهة ثانية.

وكل هذا يحدث في مدة قصيرة جدا (مدة التقرير لا تتجاوز 2:18 د)، وهذا يعني أن قوة القصة ليست في طريقة سردها فحسب ولكن أيضا في تكثيف معانيها واختصارها لأن الوقت في التلفزيون يقاس بالثواني لا بالدقائق.

7. القصة الإنسانية: من التخصيص إلى التعميم

في التقارير التلفزيونية نميّز بين الحالات الخاصة حيث تكون القصة خاصة بالفرد لا تتعداه إلى سواه، وبين القصص العامة التي يَرِدُ فيها الفرد ليس لذاته فحسب ولكن نموذجا للتعميم لكونه يشترك في القصة ذاتها مع آخرين.

وفي أغلب الحالات تَرِدُ حالة الفرد نموذجا قابلا للتعميم، ضمن ما نسميه في أدبيات التلفزيون بـ "أنسنة التقرير"، فالقصص الفردية التي ترد لذاتها، وتسمى "بورتريه" أو "فيرست بيرسون" هي أقل ورودا في التقارير التلفزيونية من القصص التي تعبر عن حالات جماعية.

في هذا التقرير، اعتمدت شيرين أبو عاقلة حالة نضال تعبيرا عن حالة عامة يواجهها الفلسطينيون. فهو ليس استثناء وإنما حاله **"كحال جيرانه الذين تلقّوا إخطارات بالهدم"** كما يَرِدُ في التقرير.

ثم إن التعميم لا يطال فقط أصحاب البيوت ولكن أيضا أصحاب المحال التجارية. فيرد في التقرير **"أوامر طالت أيضا عددا من أصحاب المحال التجارية (مشاهد لمحال تجارية) في سلوان كهذا المحل الذي أجبر صاحبه على دفع غرامة مالية باهظة لسلطات الاحتلال".**

8. الصور والمقابلات: شهود القصة الإنسانية

وقوة القصة الإنسانية في التقرير التلفزيوني أنها ليست مرسلة دون شهود. وشهودها هي الصورة ثم المقابلات مع المعنيين بها الذين يقدمون شهادتهم على ما يحدث لهم ومعهم بما يضمن مصداقية القصة.

في هذا التقرير تحضر الصورة الشاهدة على صدق القول على امتداد التقرير. نرى الأشخاص والأماكن والأوضاع التي تتحدث عن نفسها بل ونرى أيضا الوثائق. عندما تتحدث شيرين حول المحلات التجارية المهددة بالهدم يُظهِرُ صاحب المحل الوثائق التي توصل بها من سلطات الاحتلال وفرضت عليه مخالفات وأنذرته بالهدم.

والصورة هنا تتجاوز بعدها الجمالي إلى بعد توثيقي، فتتحول إلى وثيقة تثبت مصداقية الرواية. وتلك واحدة من أدوار التلفزيون ومكامن قوته.

ثم إن الصورة تعززها شهادة مصورة لأصحاب القضية. فعند الحديث عن أصحاب المحلات يحضر صاحب محل هو محمد نصار يقدم شهادته معززة بالوثائق المثبتة لمصداقيتها فيقول **"بأول مخالفة، خالفتها بخمسين ألف، ثاني مخالفة ب45، ثالث مخالفة ب20 ألف. ثلاث مخالفات عمالي بدفع، واسا بدفع، عندك "الأرنونا" عندك ضرايب. مش ملحّق، باب مرزق اذا بينقطع من وين بدي أعيش".**

ولكن التعميم يصبح أكثر قوة ومصداقية عندما يتحول إلى أرقام مثبتة إن الأمر لا يتعلق بحالة خاصة أو استثنائية. وهذا ما فعلته شيرين في هذا التقرير. إذ انتقلت بعد هذه الحالات إلى الحديث على أن **"نحو 65٪ من ساكني الحيّ تلقّوا إخطارات بهدم منازلهم أو وضع اليد على أراضيهم بهدف تحويلها إلى مرافق عامة أو حدائق توراتية تخدم المستوطنين الذين يسيطرون على عدد من النقاط والبؤر في البلدة".**

وهذا التعميم نلاحظه أيضا على مستوى الصورة، إذ في الوقت الذي كنا نشاهد في بداية التقرير صورا لأفراد بعينهم، معروفة أسماؤهم وصفاتهم، وحجم اللقطات يتراوح فيها بين المتوسط والمقرب والمقرب جدا، انتقلنا إلى اللقطات العامة والشاملة لبلدة سلوان التي تشهد هذه الأحداث، بما يمكّن من وضع التقرير في سياقه العام.

ومرة أخرى ثمة شهادة تعزز هذا السياق العام، وهذه المرة ليست لشخص معني مباشرةً بالقصة، ولكن لخبير عارف بالمشهد العام وبتفاصيله ويحتفظ بالمسافة اللازمة ويملك المعلومات الضرورية التي تمكنه من تقديم تحليل أو رأي أو معلومات عامة تعني القضية في بعدها الشامل. فكانت المقابلة مع جواد صيام، مدير مركز معلومات وادي حلوة في

سلوان الذي يفسر أن الأمر تجاوز هدم المرافق ووصل إلى إزالة الأرضية في الملعب بشكل نهائي. حيث **"سيمرّ طريق استيطاني للوصل بين مستوطنة مدينة داوود ومستوطنة أبو طور أو الثوري".**

ولأن الأمر يتعلق بفلسطين، فأخبار الموت ليست نادرة. فقبل أن تتعرض هي نفسها للاغتيال كانت شيرين قد غطت مئات إن لم يكن آلافا من قصص الاغتيال. ولحظة الموت هي لحظة قوية مكثفة وفيها أيضا اشتباك مع الحياة عندما يتعلق الأمر بفلسطين.

في هذا التقرير، حول استشهاد فلسطينِيَين اثنَين برصاص الاحتلال في الخليل[26] حضرت القصة الإنسانية بشكل مختلف. فالأموات قد كتبوا قصتهم بالدم ومضوا. لكن كان لابد من شخص يحكي تفاصيل القصة. وليس أفضل وأقدر من الأم على فعل ذلك.

يبدأ التقرير بوضع القصة في سياقها، حيث غدت حُجّةُ محاولة طعن إسرائيليين ذريعة لإطلاق النار على فلسطينيين دون محاسبة. وهذا ما حدث هذه المرة مع شهيدين قتلا برصاص الاحتلال بالزعم نفسه.

ومن ثم ينقلنا التقرير من خلال الجنازة الحاشدة إلى تفاصيل الشهداء ومن بينهم الشهيدة **"بيان عسيلي التي لا تطلب والدتها أكثر من نظرة وداع أخيرة وقبر لابنتها".**

الأم هنا كثفت القصة الإنسانية، فهي الثكلى التي لا تطلب سوى تسلم جثمان ابنتها. هي ذي كما وردت في التقرير **"بدي اطمئن عليها، بدي أنا أطمئن عليها لأن إكرام الميّت دفنه. واحنا بدنا نطمئن يعني حتى أبناءنا ما منعرف وينهم محطوطين ما منعرف".**

---

[26] التقرير بث بتاريخ 27 أكتوبر 2015، ومدته 2:20
https://www.youtube.com/watch?v=76Vu0ItXLL0&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=169

على قصر مدة هذه الشهادة، حوالي 12 ثانية، فهي تحكي قصة إنسانية مروعة، تتمثل في احتجاز إسرائيل لجثامين الشهداء. وخلافا لما هو متوقع في مثل هذه الحالات، فالأم لم تكن باكية، بل أظهرها التقرير وسط حشد الجنازة صلبة صامدة متقبلة. وهي بذلك ترسل رسالة مفادها أن انتهاكات الاحتلال واعتداءاته لا يعادلها سوى صمود الفلسطينيين وقدرتهم على الانبعاث من جديد.

هكذا تحضر القصة الإنسانية في كل تقارير شيرين أبو عاقلة، والقصة الإنسانية على هذا المستوى تلبي شرطا مهنيا وأخلاقيا. فأما الشرط المهني فهو الالتزام بقواعد التقرير التلفزيوني الجيد الذي يقوم على "القصة من الميدان بالصوت والصورة" كما سبق أن أوردنا، وهو بذلك يضمن للتقرير حبكته، وقدرته على الوصول إلى المشاهد، ثم يمنحه مصداقيته التي تتعزز بحكي القصة على لسان أصحابها.

وأما إنسانيا فإن الانتصار المهني للقضايا العادلة يتحقق من خلال حكي قصص الناس كذوات منفردة لها خصوصيتها وفرادتها فذاك أدعى للتأثير والوصول إلى قلوب الناس وعقولهم.

الفصل الثاني

أخلاقيات المهنة...
الالتزام المهني والأخلاقي
في تقارير شيرين أبو عاقلة

ليس سهلا ربما أن أغير الواقع..
لكنني على الأقل كنت قادرة
على إيصال ذلك الصوت إلى العالم

شيرين أبو عاقلة

تعرف أخلاقيات المهنة بأنها تمثل الضوابط الأخلاقية التي تؤطر ممارسة المهنة في مختلف مراحل إنتاج المادة الإعلامية، بما يمنع من وقوع الانزلاقات المهنية، سواء في علاقة الصحفي بالمادة الخبرية ذاتها أو في علاقته بمصادر الخبر أو بجمهوره أو بمسؤوليه وزملائه داخل المؤسسة.

وهكذا تتسع أخلاقيات المهنة لتشمل مضمون المحتوى الإعلامي وطريقة الإنتاج وعلاقة الصحفي مع كل الأطراف المتدخلة في العملية الإعلامية. ولعل هذا ما دفع البعض للحديث على أن أخلاقيات المهنة تمثل "الطريقة الوحيدة للتضييق المقبول على حرية الصحفي"[27] ذلك أن كل أنواع التضييق الأخرى غير مقبولة بموجب المواثيق الدولية والقيم المهنية المتعارف عليها، وتحول دون قيام الصحافة بأدوارها المفترضة وخاصة منها دورَيْ المسؤولية الاجتماعية ومراقبة السلطة.

وإذا كان هناك فارق بين الأخلاق بمفهومها العام وبين أخلاقيات المهنة فإنه لا يمكن تصور هذه الأخلاقيات من دون فكر أخلاقي، لأنه في نهاية المطاف إلى الأخلاق يعهد تحديد ما ينبغي فعله ولماذا.[28]

وتشمل هذه الأخلاقيات قواعد آمرة، مثل تحرّي الصدق والدقة والموضوعية والنزاهة والتزام حياة الأفراد الخاصة واحترامها، وقواعد أخرى ناهية عن التورط في التلفيق أو الكذب أو السب أو السرقة الفكرية أو التحريض على الكراهية أو العنف وغيرها من القيم التي نصت عليها كثير من المؤلفات الخاصة بأخلاقيات المهنة.[29]

---

[27] جان كلود برتراند، أدبيات الإعلام : ديونتولجيا الإعلام ، ترجمة رباب العابد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008، ص: 31-

[28] جمال الدين الناجي، وسائل الإعلام والصحافيون: موجز آداب المهنة، ترجمة محمد الناوي، الرباط، منشورات مركز التوثيق والإعلام والتكوين في مجال حقوق الإنسان، 2004، ص: 14

[29] Aidan White, Vous dire la vérité: initiative pour un journalisme éthique, Paris, Ed 4, Victoire, 2010, p:145-180

وبعض هذه الأخلاقيات منصوص في القوانين المؤطرة للصحافة، وبعضها الآخر متروك لضمير الصحفي المهني. وإذا كان خرق الأخلاقيات المنصوص عليها في القوانين يترتب عنها عقوبات قد تصل إلى السجن أو الغرامات المالية كما الحال في قضايا التشهير والسب والقذف أو نشر أخبار زائفة، فإن تلك المرتبطة بضمير الصحفي غالبا لا تطالها أي عقوبات مادية، ولكن قد تترتب عليها عقوبات رمزية ترتبط بصدقية الصحفي ووضعه الاعتباري.[30]

وبشكل عام تتأثر أخلاقيات المهنة بالسياقات السياسية والاقتصادية التي تؤطر الممارسة المهنية، لكن العامل الحاسم يرتبط أساسا بقيم الصحفي وتمثله لذاته المهنية وأيضا قيم المؤسسة وثقافتها ومواثيق العمل بها.

1. أخلاقيات المهنة...
تقاطعات قيم المؤسسة والتزام الصحفي

في موضوع أخلاقيات المهنة ينص ميثاق الشرف في قناة الجزيرة[31] على "التمسك بالقيم الصحفية من صدق وجرأة وإنصاف وتوازن واستقلالية ومصداقية وتنوع دون تغليب للاعتبارات التجارية أو السياسية على المهنية" كما ينص على "السعي للوصول إلى الحقيقة وإعلانها في تقاريرنا وبرامجنا ونشراتنا الإخبارية بشكل لا غموض فيه ولا ارتياب في صحته أو دقته" و على "معاملة جمهورنا بما يستحقه من احترام، والتعامل مع كل قضية أو خبر بالاهتمام المناسب لتقديم صورة واضحة

[30] محمد البقالي، سؤال المهنية والإيديولوجيا في الصحافة، مرجع سابق، ص: 111

[31] https://network.aljazeera.net/ar/our-values/standards#page-18

واقعية ودقيقة مع مراعاة مشاعر ضحايا الجريمة والحروب والاضطهاد والكوارث وأحاسيس ذويهم والمشاهدين واحترام خصوصيات الأفراد والذوق العام".

كما يرحب "بالمنافسة النزيهة الصادقة دون السماح لها بالنيل من مستويات الأداء حتى لا يصبح السبق الصحفي هدفاً بحد ذاته" ويلتزم بـ "تقديم وجهات النظر والآراء المختلفة دون محاباة أو انحياز لأي منها، و"بالتمييز بين مادة الخبر والتحليل والتعليق لتجنب الوقوع في فخّ الدعاية والتكهّن".[32]

على هذا المستوى نجد أن الجزيرة أنتجت أدبيات تتوافق مع أعلى المعايير المعتمدة في الممارسة المهنية الفضلى. وذلك يشكل منطلقا أساسيا لالتزام مهني من قبل الصحفيين إذ يوفر لهم بيئة مناسبة للالتزام بأخلاقيات المهنة.

ذلك أن الدور الفردي للصحفي في الالتزام بأخلاقيات المهنة أساسي في الممارسة المهنية لكنه غير كاف في غياب مناخ مؤسسي يعلي من قيمة هذه الأخلاقيات ويضعها على سلم أولويات العمل الصحفي.
فالصحافة يمكن اعتبارها مهنة تفاوض بامتياز. والصحفي يعيش منذ انخراطه في المؤسسة على وقع تفاوض مع مؤسسته للمواءمة بين قيمها وقيمه الخاصة. وخلال عملية التفاوض هذه تخضع أخلاقيات المهنة وقواعدها الفضلى لاختبار حقيقي.[33]

لذلك فإن انتماء الصحفي لمؤسسة تضع أخلاقيات المهنة شرطا لازما لممارستها المهنية يمثل مقدمة رئيسية لالتزام الصحفي بهذه الأخلاقيات، لأنه في غياب هذا الالتزام المؤسسي فإن الفارق يتسع

---

[32] نفسه

[33] محمد البقالي، سؤال المهنية والإيديولوجية في الصحافة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص: 102

بين رؤيته ورؤية المؤسسة لمفهوم الالتزام المهني والأخلاقي، وهو ما يجعل عملية التفاوض المستمرة التي يعيش على وقعها الصحفي مع مؤسسته تأخذ أبعادا أكثر حدة، والكفة في هذا التفاوض عادة ما تميل لصالح المؤسسات لأنها أقوى بالمفهوم الاجتماعي من الفرد، الذي يجد نفسه ملزما بالخضوع لما تفرضه المؤسسة من قواعد الاشتغال أو مغادرتها.

ثم إن الالتزام بأخلاقيات المهنة يرتبط أيضا بسياقات العمل وإكراهاته، القائم على سرعة الأداء، ما يجعل الصحفي معرضا للسقوط في الأخطاء والمطبات المهنية والأخلاقية عن قصد أو عن غير قصد.[34] وهذا ما دفع صحفيا وباحثا فرنسيا إلى الحديث عما سماها "صحافة السوق" حيث تؤدي بعض الممارسات المهنية غير السوية، من قبيل نقل الصحفيين عن بعضهم بعضًا وعدم التثبت بسبب ضيق الوقت وضغوط العمل إلى السقوط في مزالق كثيرة حتى عندما لا تتوفر نيّة التضليل.[35]

فالمؤسسة الإعلامية على عجلة من أمرها، ولا مجال لها للتفكير والعود إلى الوراء وهي تعمل تحت ضغط الوقت (...) لذلك ترى الحوادث والايقاعات سريعة. إنها ثقافة الراهن، والديمومة وحسّ الاستمرارية يغيبان الوعي الاجتماعي والأفق السياسي.[36]

وهذا الأمر يظهر أكثر في القنوات الإخبارية التي تعمل على مدار اليوم، فهي في بحث مستمر عن الجديد من الأخبار لتغذية رحى الشاشة التي تدور بسرعة ودون توقف. وظهور وسائل التواصل الاجتماعي عقّد المهمّة أكثر وجعل حياة الخبر أقصر بكثير مما كانت عليه من قبل، فالمنافسة لا تتمّ فقط بين المؤسسات الإعلامية فيما بينها، لكن أيضا بين هذه المؤسسات وملايين الأفراد الذين غدوا بفضل التقنيات الحديثة قادرين على القيام بنفس مهام هذه المؤسسات أي التصوير والبث.

---

[34] نفسه، ص: 112

[35] Serge Halimi, Les Nouveaux Chiens de garde, Liber-Raisons d'agir, 1997, p : 71-72

[36] نهوند القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، الوقوف على تخوم التفكيك، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص: 47

يجعل ذلك المؤسسات تحت عبء ضغط الوقت، والبحث عن السبق مع ضمان الدقة، وهي معادلة ليست سهلة الحل، إذ يجب تغليب عنصر على آخر. لذلك عندما ينص ميثاق شرف المؤسسة، كما هو الحال بالنسبة للجزيرة، على عدم تغليب "الاعتبارات التجارية أو السياسية على المهنية" وعدم السماح "للمنافسة بالنيل من مستويات الأداء، حتى لا يصبح السبق الصحفي هدفاً بحد ذاته"، فإن هذا يوفر للصحفي بيئة مهنية "صديقة" لأخلاقيات المهنة، فلا يبقى أمام الصحفي إلا مواجهة إكراهات الميدان، وهي ليست سهلة على الإطلاق، والتسلح بقيم الجرأة لمواجهة الضغوط الخارجية من قبل مراكز السلطة والنفوذ التي سيواجهها بالضرورة خلال ممارسته لعمله.

في الفرع التالي من هذا الفصل سنحاول أن ندرس مدى التزام شيرين أبو عاقلة بالقيم الأخلاقية لمهنة الصحافة من خلال مساءلة عدد من تقاريرها، وحيث إن موضوع الأخلاقيات مفتوح بشكل كبير على تفاصيل كثيرة في الممارسة الميدانية فسنتعمد مجموعة من المعايير في هذه المساءلة من بينها: الدقة- التوازن...

2. المعلومة الدقيقة... الأرقام أصدق إنباء من الكلمات

دون الانخراط في تفصيل نظري لمفهوم الدقة، يمكن القول إنه تمثل جوهر عملية الإخبار ذاتها وركنها الأساس، فهي تستبطن صفات أخرى لازمة لها وضروري توفرها في الخبر الصحفي. فشرط الدقة يعني أولا صحة الخبر على وجهه المتعين الذي تحدده المصطلحات المستعملة. وعليه فالخبر الدقيق هو ليس فقط خبرا صحيحا، ولكنه أيضا خبر يعبر عن حقيقة ما وقع دون مبالغة تهوينا أو تهويلا، ويستعمل على

مستوى اللغة المصطلحات الأقرب لوصفه بعيدا عن العموميات، وعلى مستوى الصورة ما يعبر عنه بالضبط بعيدا عن الخلط المقصود أو غير المقصود. وقبل ذلك يعني التأكد من مصادر متعددة، ويتطلب نزاهة فكرية وأخلاقية تحول دون محاولة الاجتزاء أو الاختصار المخل أو تقديم جزء من الحقيقة وإخفاء جزء آخر.

في هذا التقرير حول "مجموعات متطرفة تقتحم ساحات المسجد الأقصى"[37] ، تنطلق شيرين أبو عاقلة من الحديث عن عملية الاقتحام، وتقدم تفاصيل بشأنها من خلال لقطات متنوعة تسمح برؤية الحدث مكتملا من زواياه المختلفة، ومعها تعليق يقول **"عملية الاقتحام بدأت قبل الثامنة صباحا، قامت بها قوات الاحتلال الإسرائيليّ التي أطلقت الرصاص المطاطيّ وقنابل الصوت على عشرات من الفلسطينيين كانوا برابطون داخل المسجد. مواجهات أدت إلى إصابة عشرات من الفلسطينيين بجروح، لكن السابقة كانت باقتحام المسجد القبليّ من جانب قوات الاحتلال لمحاصرة المرابطين".**

فالتعليق هنا ليس مجرد لغة وصفية لما يحدث، بل يجيب عن الأسئلة الأساسية المتعارف عليها في كتابة الخبر التلفزيوني: ماذا؟ من؟ متى؟ أين؟ كيف؟ وقد يزيد لماذا؟ إذا توفرت الإجابات.

فالتعليق يقدم تفاصيل دقيقة بشأن عملية الاقتحام، فيحدد: موعده، وهو قبل الساعة الثامنة صباحا، والأسلحة التي استعملها جيش الاحتلال في مواجهة الفلسطينيين (الرصاص المطاطي وقنابل الصوت)، وعدد الفلسطينيين المرابطين (عشرات)، وعدد الإصابات (عشرات أيضا).

في كل التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة، تحضر لغة الأرقام، والتفاصيل الدقيقة، والمعلومات الوافية، بعيدا عن اللغة العامة أو

---

[37] تاريخ البث 5 نوفمبر 2014، المدة 2:33، الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=W1MjQajQCRY&list

الفضفاضة التي قد تنحو نحو دغدغة العواطف أو المشاعر على الرغم أن الأمر يتعلق باعتداء واضح وبيّن من قبل محتلٍّ على مصلّين أو على سكان آمنين في بيوتهم.

لنأخذ هذا النموذج، وهو تقرير حول موضوع الجمعة الأولى من رمضان في المسجد الأقصى.[38]

يبدأ التقرير بمشاهد لجرافات الاحتلال تضع حواجز إسمنتية. والصورة هنا أبلغ من الكلمة. وهي تلتقي مع النص لتقديم معلومات تتسم بالدقة بدون مبالغة او انتقاص أو اجتزاء.

ويأتي التعليق بلسان شيرين أبو عاقلة **"هكذا بدأت إسرائيل استعداداتها لأول جمعة في شهر رمضان عند معبر قلنديا الذي يفصل مدينة القدس عن المدن الفلسطينية شمال الضفة الغربية، وضعت قوات الاحتلال المزيد من الحواجز الإسمنتية قوبلت بالحجارة، ربما من شبان كانوا يأملون أن يدخلوا مدينة القدس".**

ففي فقرته الأولى يحدد التقرير الزمان والمكان بشكل دقيق، ويصف المشهد من الجانبين، فهناك من جهة قوات الاحتلال التي وضعت مزيدا من الحواجز للحيلولة دون تدفّق المصلين إلى المسجد الأقصى، ومن جهة ثانية هناك الشبان الذين يرشقون الجنود بالحجارة.

والظاهر أن هؤلاء الشبان كانوا يرغبون في الدخول إلى المسجد الأقصى، لكن المُراسِلة ليست متأكدة من أن كل الشبان بدون استثناء كانوا يرغبون في الدخول فاستعملت كلمة "ربّما". وكلمة ربّما التي تستعمل للشك تفيد هنا دقّة أكبر في التقرير، فالمُراسِلة عندما لم

---

[38] تاريخ بث التقرير: 13 أغسطس/آب 2010، المدة: 3:13 د، الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=W1MjQajQCRY&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=99

تكن متأكدة من معلومة توردها بما يفيد هذا الشك، علما أن الشك هنا لا يغير من جوهر الخبر لأنه لا ينسحب على فعل المواجهة الذي تظهره الصورة، وإنما ينسحب فقط على نوايا مجموعة من هؤلاء الشبان وما إذا كانوا قد واجهوا جيش الاحتلال لأنهم مثل الآخرين راغبون في الدخول إلى القدس، أم أنهم انضموا إلى المواجهة دون أن تكون لهم نيّة الدخول إلى القدس.

3. قريبا من الحقيقة بعيدا عن "خطاب الضحية"...

بعد أن يحدّد التعليق المكان بدقة وهو معبر قلنديا، ويصف المشهد المقابل أيضا للشبان الذين يرمون الجنود بالحجارة، مع تحديد سبب ذلك المتمثل ربما في رغبة هؤلاء الشبان في الدخول إلى مدينة القدس.

ينتقل التقرير بعد ذلك للآثار المباشرة لما كان يفعله جيش الاحتلال الإسرائيلي، في انتقال منطقي وسلس، يعرض مشاهد لمواطنين

فلسطينيين على حواجز الاحتلال ينتظرون. يأتي التعليق ليقدم من جديد ما لا تسمح الصورة بقوله، ويقدم معلوماتٍ وافيةً ومدققةً توضح الصورة وتفسرها. فالتعليمات الإسرائيلية وفقا للتقرير تحدّد **"الفئة المسموحة لها بالصلاة في المسجد الأقصى، الرجال الذين تزيد أعمارهم عن خمسين عاما، والنساء اللاتي تزيد أعمارهن عن خمسة وأربعين، وتتمّ إعادة كل من هو أصغر عمرًا".**

فالتقرير لم ينحُ نحوَ المبالغة أو التعميم، أو الانجرار ما وراء ما نسميه بـ "خطاب الضحية"، بل حدّد بدقة الفئات المعنية بالمنع بالنسبة للرجال والنساء. لتأتي بعد ذلك المقابلات لتكمل الصورة من خلال شهادات نساء إحداهن على سبيل المثال عمرها 43 سنة، أي أنها أقل من العمر المسموح به بسنتين وقد منعت من الوصول إلى المسجد الأقصى.

تقول هذه السيدة **"جيت من الساعة 6، ليش انو عمري 43 مش راضيين يفوتوني من غير تصريح".**

ومن ثم مقابلة مع امرأة فلسطينية أخرى، تقول **"من الساعة 5 النا منستنى، من السنة للسنة لنروح ندخل القدس ونصلي فيها".**

4. التوازن ... كل جوانب الصورة...

لا يكتفي التقرير بنقل مشاهد الذين منعوا من الدخول إلى المسجد الأقصى، بل يرافق أيضا أولئك الذين تمكنوا من الوصول إليه. فيتحول التقرير إلى لوحة تنتقل من مظاهر التوتر والمواجهات والحزن والأسى الذي يرافق الممنوعين إلى مظاهر الابتهاج والفرح بالوصول إلى القدس. وهذا الاختيار صنع توازنا مطلوبا في التقارير التلفزيونية المهنية.

فقد كان بالإمكان أن يكتفي التقرير بإظهار حالات منع الجيش الإسرائيلي للفلسطينيين من الدخول إلى القدس، لأن الصحافة كما يقال تهتمّ "بالقطارات التي لا تأتي في مواعيدها، وليست بتلك التي تصل في مواعيدها". والأصل أن يصل الناس إلى أماكن عبادتهم دون أي تقييد فيكون الخبر عندما يمنعون لا عندما يسمح لهم بالوصول. لكن رغم ذلك نلاحظ أن شيرين كانت حريصة على تقديم الجانب الآخر للصورة، المتمثل في يوميات أولئك الذين تمكنوا من الدخول.

ومن أجل ذلك انتقلت إلى داخل القدس حيث عمّت مشاهد الفرح وجوه هؤلاء، لكن مع تفصيل مهمّ، فمن يدخل عليه أن يتحمل عناء المسير لساعات بسبب منع وصول المركبات. ولأنه لا يدخل إلا كبار السن فهذا يجعل المهمة أصعب، وهو ما عبرت عنه سيدة فلسطينية بالقول **"إحنا محرّم علينا نوصل براحتنا وبسياراتنا. إحنا معنا رجّال كبير بالعصا الحاج، منعونا نطلع. وأنا مش قادرة أمشي".**

أو مقابلة أخرى مع رجل مسن يقول **"منمشي على العصا من راس العامود لحد هون (باب المسجد) منمشي مشي. أنا عمري 80 سنة".**

رغم ذلك، تلتقط شرين مظاهر الفرح التي تنتشر في القدس، فيأتي تعليقها مناسبا للصورة وهي تقول **"لكن المشهد في القدس في مثل هذا اليوم يتميّز عن أي يوم آخر، حيث تدبّ الحياة في أزقة المدينة، وينتشر فيها الباعة المتجوّلون. أما ساحات الأقصى فتزخر بالمصلين خلافا لما هو الحال في باقي أيام العام، حيث يمنع الفلسطينيون من غير سكان القدس وداخل إسرائيل من الصلاة فيه".**

5. الحقيقة أولا .. ولو كانت "مُرّة"

في ظلّ الاحتلال قد تكون مغرية فكرة تجنّب الحديث عن القضايا التي يثور بشأنها خلاف داخلي بين الفلسطينيين، أو تلك التي قد يتّهم فيها طرف فلسطيني بتغليب المصلحة الخاصّة على المصلحة الوطنية. لكن في مسيرتها المهنية قدّمت شيرين أبو عاقلة تقارير كثيرة شرحت فيها الواقع الفلسطيني الداخلي الذي يعاني من الانقسام ومن اختلاف الرؤية بشأن مواجهة الاحتلال وقد يصل الأمر إلى وجود فئات تغلّب مصالحها الخاصة على المصلحة الوطنية. وأحسب أن المنطق الذي يقف وراء ذلك يقوم على أن "الحقيقة أوَّلا.. ولو كانت مُرّة".

لنأخذ هذا التقرير على سبيل المثال[39]، وهو يناقش قضية بناء مدينة "الروابي" بالقرب من رام الله، ولكن ضجّةً أثيرت حولها بسبب مشاركة اثنتي عشرة شركة إسرائيلية في بنائها، وهو ما أثار انتقادات جهات فلسطينية ومنظمات أهلية متعددة.

بعد تقديم المعلومات الخاصة بالشركة وبالموضوع، يؤكد التعليق الذي ترافقه مشاهد لمجسم المشروع أن الشركة المنفذة لم تنفِ التعاقد مع تلك الشركات الإسرائيلية إلى جانب عشرات الشركات الفلسطينية والأجنبية كما تقول.

وتقابل بشار المصري، رئيس مجلس إدارة "روابي"، الذي يبرر استعانة شركته بالشركات الإسرائيلية فيقول:

---

[39] تاريخ البث، 9 يناير/كانون الثاني 2011، المدة 2:53 د، الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=VV2Uj9adx9I&list=PL_zZHeVP9zhJ4K8hcYswa_osgmY2O7wXI&index=10

"هذه الاتفاقيات هي اتفاقيات توريد موادّ خام غير موجودة في الضفة أو خدمات غير متوفرة في الضفة. على سبيل المثال الإسمنت، ما في عنا إسمنت، الرّمل، الرّمل البحري ما عنا، الرّمل البحري بيجي من البحر وممنوع استيراده إلا من إسرائيل. التصوير الجوّي أكيد ما عناش طيارات تصوّر".

لكن التوازن يفرض وجهة النظر الأخرى الرافضة لكل هذه الحُجَج. وهو تمامًا ما ينتقل إليه التقرير. إذ يأتينا مباشرةً بعد المقابلة التي قدّمت هذه المبررات، صوتُ شيرين قائلا إن **"الحُجّة لم تكن كافية بوجهة نظر بعض الفلسطينيين".**

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الدقة التي تعني ضمن ما تعني اختيار المصطلحات المعبرة وليست التقريبية، ونلاحظ أن التقرير استعمل كلمة "بعض" للإشارة إلى الرافضين وللتأكيد على نسبية المواقف وغياب إجماع بشأن هذا الخلاف.

تلتها مقابلة مع صلاح هنية، منسق عام الراصد الاقتصادي، وهو رافض لكل هذه الحُجَج التي قدمها رئيس مجلس إدارة شركة "روابي".

يقول صلاح هنية **"لم يتمّ نفي التعاقد مع شركات إسرائيلية في موضوع الإسمنت والرمل، بس انتِ بتعرفي هذا الموضوع في إلو ملحقات، يلي بدو يتعاقد مع الإسمنت بدو يجيب شركات تركبله مصنع إسمنت، وبدو يجيب شركات خبراء إسرائيليين يطوروله مصنع الإسمنت يعني هاي القصة حلقة متواصلة".**

والمثير للانتباه أن تحقيق التوازن هنا لم يكن على المستوى الشكلي فقط، بإظهار موقفين متباينين مع مقابلة صاحبي الموقفين، بل تجلّى ذلك أيضا في مدة المقابلة المتقاربة جدا. إذ بلغت مدة المقابلة الأولى 23 ثانية، بينما مدة المقابلة الثانية 20 ثانية، وهذا يعني حرصا شديدا على التوازن الحقيقي وليس الشكلي بما فيه على مستوى مدة المقابلة.

ويذهب التقرير بالتوازن إلى مدى أبعد، عندما يستحضر الموقف الإسرائيلي نفسه الذي يرفض عدد من نوابه في الكينيست مشاركة الشركات الإسرائيلية في بناء مساكن للفلسطينيين. فتظهر مشاهد من اجتماعات الحكومة والكنيست الإسرائيليين، ليأتي تعليق شيرين متحدثا عن توقيع **"ثمانية وأربعين عضو كنيست إسرائيليّ وقّعوا على عريضة تدعو لمقاطعة الشركات الإسرائيلية التي تشارك في بناء المدينة الفلسطينية الجديدة، باعتبار أن تلك الشركات وقّعت على تعهّد بعدم استخدام أي مواد منتجة في المستوطنات".**

وتتبعها بمقابلة مع روني باروان، عضو كنيست إسرائيلي، وهو رافض تماما لفكرة مشاركة هذه الشركات الإسرائيلية في هذا المشروع.

6. الصورة.. إظهار الحقيقة وحفظ كرامة الضحايا

لطالما شكلت الصورة الصحفية مجالا للسّجال بشأن الأخلاقيات التي يجب مراعاتها خلال نشرها. وإذا كانت ثمّة قواعد ثابتة لا خلاف بشأنها من قبيل ضرورة نشر الصورة دون اجتزاء يسيء فهمها، أو تبديل يغيّر من معناها، أو فصل عن سياقها. فثمّة قضايا مازالت تثير النقاش وتختلف بشأنها الآراء كما هو الحال بالنسبة للصور التي قد توصف بكونها صادمة أو عنيفة كما هي صور ضحايا الحروب والكوارث والاعتداءات أو صور الأطفال.

ومَرَدُّ النقاش أنّ الرافضين لنشر هذه الصور ينتصرون لمبدأ احترام كرامة الإنسان وحماية المشاهد من اللقطات الصادمة، بينما يبرر المدافعون عن نشرها في بعض الحالات موقفهم بحق الجمهور في معرفة الحقيقة كاملة، وهي لا تكتمل بدون صورة تبرز حجم الاعتداء أو الانتهاك أو الكارثة.

ولديهم في تاريخ الصحافة شواهد يستندون إليها حيث كانت الصور الصادمة وراء تنبيه العالم لحجم الانتهاكات التي تتعرض لها فئات مضطهدة. ومثال ذلك: صورة الطفل الفلسطيني محمد جمال الدُّرّة وهو يتعرض لوابل من رصاص جيش الاحتلال، أو صورة الطفل أيلان وقد لفظ البحر جثته بعد غرقه في رحلة اللجوء من سوريا، أو صور سجناء أبو غريب في العراق التي كشفت جانبا من انتهاكات الجنود الأمريكيين

في العراق، وقبل ذلك صور "طفلة النابالم" في الفيتنام عام 1972، وهي الصورة التي ظهرت فيها طفلة في الخامسة من عمرها عارية تماما وقد أصيبت في قصف باستعمال النابالم.

بالعودة إلى دليل المعايير التحريرية لقناة الجزيرة نجد أن الجزيرة تفرض الحذر في التعامل مع كل أشكال العنف التي تعرض على الشاشة وتنصّ على عدم عرض "مشاهد العنف، أو ما يُحرّض عليه أو يُروّج له، إلا إذا كان ذلك في صلب المادة الإخبارية. وفي حالة الاضطرار لعرض مشاهد كهذه، أو حجبها، نذكر ذلك على الشاشة قولا أو كتابة"[40].

وعند عرض صور الجُثث توصي المعايير التحريرية بضرورة "حفظ كرامة الموتى بتجنب اللقطات القريبة. وإن لم يكن بدٌّ فليكن العرض ثواني معدودة، ومن خلال لقطات متوسطة أو بعيدة، أو باستخدام صور ثابتة للتخفيف من أثر مشاهد العنف"[41].

والواقع أن فلسطين تمثّل مختبرا حقيقيا لتنفيذ هذه التوصيات بالنظر إلى حجم العنف الذي يُمارَس ضدّ سكانها من قبل المحتلّ. وفي تقارير شيرين أبو عاقلة يمكن دون عناء ملاحظة الالتزام الدقيق بهذه القواعد في التعامل مع الصورة. وسنضرب على ذلك أمثلة من تقاريرها:

في تقرير نشر 11 ديسمبر/كانون الأول 2015، بشأن استشهاد فلسطينِيَين أحدهما في الستين في عمره.[42]

---

[40] المعايير التحريرية لقناة الجزيرة، الطبعة الثانية، نوفمبر 2015، ص: 26.
https://network.aljazeera.net/sites/default/files/documents/2022/ED_1AR.pdf

[41] نفسه

[42] https://www.youtube.com/watch?v=XebbCxIPVsM&list=PL_zZHeVP9zhJwwf_xbrT457lV5YT3O0zL&index=74

- يبدأ التقرير بالحديث عن اتهام إسرائيل للشهيد بمحاولة دهس إسرائيليين في سياق محاولة تبريرها لقتله، وفي المشاهد المرافقة صورة الشهيد وقد سقط على الأرض ولكن من خلال لقطة بعيدة لا تظهر ملامحه (الثانية 6 من التقرير).

- في التقرير نفسه، نشاهد صور شهيد آخر أثناء تشييعه. واللقطة هذه المرة متوسطة ولكن الشهيد مغطى بكفن ولا يظهر منه شيء.

- في لقطةٍ تاليةٍ نشاهد الشهيد بوجه مكشوف، ومعه أمه التي تودّعه، بعدما ودّعت ابنتها قبل شهرين في المكان نفسه، واللقطة هنا وإن كانت مقربّة فهي غير صادمة، لأن إصابة الشهيد كانت في صدره.

وهذا التقرير ليس استثناء، بل يقدّم نموذجًا لكلّ تقارير شيرين أبو عاقلة الأخرى التي كان فيها الالتزام صارما بهذه القواعد التي توائم بين إظهار الحقيقة مع الحفاظ على كرامة الناس وعدم صدم المشاهد.

الفصل الرابع

العمل الميداني..
الطريق الصعب إلى الحقيقة

لم نكن نرى بيوتنا.. كنا نحمل الكاميرات ونتنقل عبر الحواجز العسكرية والطرق الوعرة.. كنا نبيت في مستشفيات.. أو عند أناس لم نعرفهم ورغم الخطر كنا نصر على مواصلة العمل

شيرين أبو عاقلة

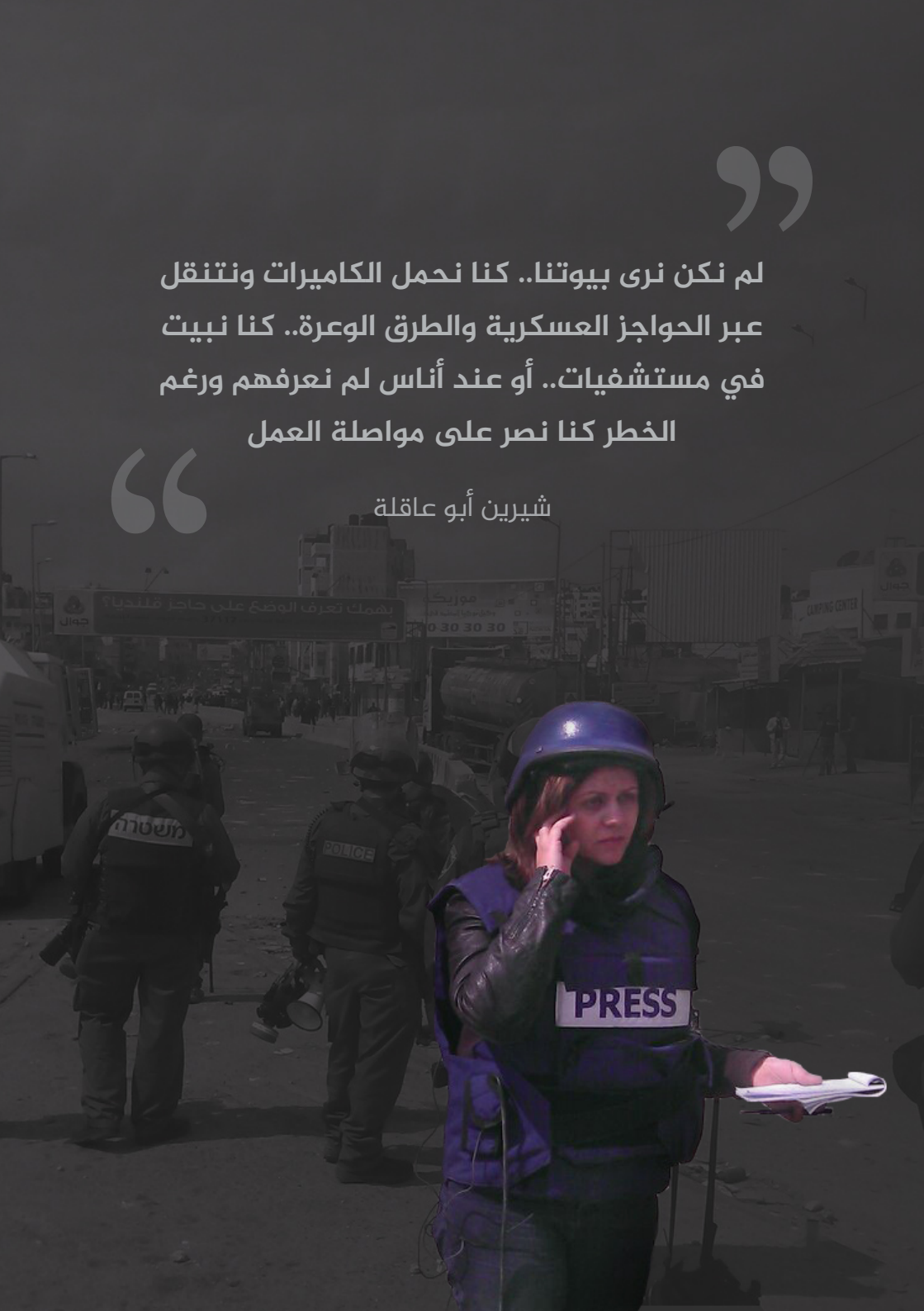

لا تحتاج شيرين إلى أي شهادة بخصوص التزامها بالعمل الميداني أساسا لممارستها المهنية للصحافة. فقد قُتلت في الميدان وهي تقوم بمهمتها الصحفية. بل إنّ وجودها في الميدان هو سبب استهدافها بما يمثّله هذا الوجود من شهادة موثّقة على ما يرتكبه الاحتلال من انتهاكات في حقّ أصحاب الأرض.

ومنذ بدأت مسيرتها الصحفية إلى لحظة استشهادها كان الميدان مكان عملها الفعلي بكل ما يعنيه ذلك من صعوبات ومخاطر خاصّة في بيئةٍ معاديةٍ مثل بيئة الاحتلال. وبعض هذه الصعوبات مرتبط بطبيعة العمل الصّحفي ذاته وبعضها مرتبط بطبيعة المؤسسة التي تشتغل لصالحها شيرين أبو عاقلة وهي الجزيرة، وثمّة ما هو مرتبط بطبيعة البيئة العدائية التي تُمارِس فيها شيرين عملها.

1. العمل الميداني: المصاعب والإكراهات

لا يخلو العمل الميداني من مصاعب مرتبطة بطبيعة العمل الصحفي. فالعمل داخل غرفة الأخبار أو الاستوديو مختلفُ تمامًا حيث يتحكّم الصحفي في بيئة العمل التي توفّرها المؤسسة، فإن العمل الميداني يعني أوَّلا أن الصحفي لا يتحكّم في مجريات الأحداث ولا سياقاتها، وكل ما عليه هو الحرص على التفاعل معها وتقليل ضغطها بقدر الإمكان.

بدءا من الطقس الذي قد يزيد متاعب إضافية للصحفي وانتهاء بالمخاطر التي قد تُودي بحياته، ثمة لائحةُ طويلةُ من الإكراهات التي يجب على الصحفي الاستعداد للتعامل معها في كل تغطية ميدانيّة، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالتغطية في مناطق التّوتّر أو الحروب.

وفي خضمّ هذا السّياق "المتوتّر" يجد المراسِل الميداني نفسه في مواجهة إكراهاتٍ تحريريّةٍ ومؤسسيّةٍ أخرى إذّ عليه أن يُثبت لمؤسسته باستمرار أنه مفيدُ لها ويستحقّ موقعه فيها. ولعلّ الإكراه الأوّل الذي يواجه الصحفيين العاملين في كل المؤسسات التلفزيونية في العمل الميدانيّ يتمثّل في ضغط الوقت. فمطلوب من الصحفيين أينما كان موقعهم السرعة في الإنجاز.

وعندما يتعلّق الأمر بقناة إخبارية تبثّ على مدار الساعة يصبح هذا الإكراه أكبر، فوقت الإنجاز قصير لا يتجاوز أحيانًا بضع ساعات. والصحفيّ لا يتمتّع بترف الوقت المتاح للباحثين الآخرين أو المحققين المحترفين. والملاحظة المتكررة تقول إن زمن الإعلام ليس هو زمن البحث العلمي أو القضائي.[43] رغم أن ما هو منتظر من الصحفي يشبه كثيرًا ما هو منتظر من الباحث العلمي أو المحقق الباحث عن العدالة.

وما يزيد من مصاعب العمل الميداني أن إكراه السرعة لا يجب أن يكون بأي حال من الأحوال مؤثرا على شرط الدقة، وعليه يجد الصحفي الميداني نفسه في سياق بحث مستمر عن التوفيق بين خاصيتين تكادان أن تكونا متناقضتين، لكنهما لازمتين لأي عمل صحفي جدير باسمه وهما: الدقة والسرعة.

بمتابعة مسارها المهني مع قناة الجزيرة الذي امتدّ لنحو 25 عاما، لم يُسجّل على شيرين إخلال بقواعد الدقة أو التحقق أو التساهل في التعامل مع قواعد المهنة من قبل مؤسستها أو من قبل الجمهور، رغم أن معظم تغطياتها تمّت في سياق الإكراهات السالفة.

---

[43] Ferenczi, Thomas. "L'information et ses contraintes", Thomas Ferenczi éd., Le journalisme. Presses Universitaires de France, 2007, pp. 7-22.

ولعل استعادة التفاصيل التي سبقت استشهادها تصلح دليلا على هذا الالتزام المهني الجامع بين الدقة والسرعة. فقد توجهت يوم 11 مايو 2022 قبل السادسة صباحا إلى جنين حيث كانت قوات الاحتلال تستعد لاقتحام المدينة، وفي طريقها للميدان كانت ترسل المعطيات المتوفرة لديها بشأن الحدث. وآخر رسالة عبر البريد الإلكتروني أرسلتها شيرين أبو عاقلة (انظر صورة الرسالة أدناه) في الساعة السادسة صباحا أي قبيل استشهادها بقليل كتبت فيها "قوات الاحتلال تقتحم جنين وتحاصر منزلا في منطقة الجابريات... في الطريق إلى هناك، أوافيكم بخبر فور اتضاح الصورة".

ومن خلال هذه الرسالة يظهر التزام شيرين بالعمل الميداني واضحا، إذ بمجرد علمها بالخبر تحركت بتنسيق مع الإدارة إلى مكان الحدث، وقدمت المعلومات الأولية المتعلقة بالخبر (السرعة)، وتريّثت بشأن ما لم يتبيّن بعد لحين وصولها واتضاح الصورة (الدّقة).

Subject: قوات الاحتلال تقتحم جنين وتحاصر منزلا في حي الجابريات

في الطريق الى هناك ، اوافيكم بخبر فور اتضاح الصورة

Shireen AbuAqleh
Correspondent | Input Department
News Directorate
Al Jazeera Channel

شبكة الجزيرة الإعلامية
ALJAZEERA MEDIA NETWORK

وما قامت به يوم استشهادها لم يكن استثناء، بل امتدادا طبيعيا لمسار عملها الميداني وهو ما يمكن قراءته في كل تقاريرها التلفزيونية. حيث ثمّة جاهزية للتعامل مع الطوارئ والأحداث غير المتوقّعة بمستوى عالٍ من المهنيّة. وهذا يحيلنا على صعوبة أخرى من مصاعب العمل الميداني حيث يجد الصحفيّ نفسه غير قادر عن توقّع برنامجه للأيام المقبلة إلا بشكل محدود، فكلّ شيء رهين بتطور الأحداث بكل ما لذلك من تداعيات على حياته الخاصة، وتأثيرات على صحته النفسية والجسدية.

2. العمل الميداني:
خطوط التماس بين الصحفي والمؤرخ

من خلال مراجعة التقارير التلفزيونية لشيرين أبو عاقلة نجد أن حضورها الميداني امتدّ جغرافيا ليشمل خريطة الأراضي المحتلة، وحدثيا ليغطي معظم الأحداث التي عرفتها فلسطين خلال خمسة وعشرين عاما خلت.

وهذا الامتداد في التغطية والحضور زمنيا ومكانيا وحدثيا من شأنه أن يجعل من شيرين أبو عاقلة شاهدة وموثقة لما عرفته الأراضي المحتلة من أحداث بما يجعل عملها يتجاوز التقارير الصحفية العابرة التي تنتهي صلاحيتها بالتقادم في اليوم التالي، إلى توفير مادة توثيقية قادرة على كتابة التاريخ في سياق سياسي وحضاري تتصارع فيه القراءات والروايات، ويمثّل فيه التأريخ وتوثيق الأحداث ركنا أساسيا ضمن أركان حفظ الذاكرة ونقل الحقيقة، خاصة إذا كان هذا التأريخ يتم بالصوت والصورة والحضور الجسدي للصحفي/المؤرخ بما يمنحه مصداقية غير قابلة للدحض كما هو حال الروايات التاريخية التي يشتغل عليها المؤرخون بصيغة الظن الراجح.

صحيح أن أهمية الحدث بمفهومه الصحفي ترتبط بالوقت، وتتراجع قيمته الخبرية بمرور الوقت، لكن التاريخ في النهاية هو مجموعة أحداث متسلسلة بعضها يصبّ في بعض، وعمل الصحفي على توثيق هذه الأحداث برؤية تستدعي قيم المهنة والانتصار للحقيقة يضيف إليه صفة أخرى هي صفة المؤرخ، وهذا ما حدث بالضبط مع شيرين أبو عاقلة.

يجب هنا أن نتذكر أن الحدث بما هو مادة خام للعمل الصحفي، إنما هو في تعريفه البسيط وقائع غير اعتيادية في مقابل الحياة العادية. فيمكن أن يكون غير متوقّع أو متوقّع: هجوم، كارثة، حرب، انتخاب، إصلاح، خطاب.... وهو بذلك يمثّل محركًا للتحول الاجتماعي والسياسي. وعليه يصبح دور الصحفي في عمله الميداني المرتبط بالحدث الآني يتجاوز من حيث أراد أو لم يرد نقل المعلومة إلى التأثير والمساهمة في دينامية التحولات الكبرى الاجتماعية والسياسية.

وإذا كان هذا الأمر ينطبق على عمل الصحافة في سياقات توصف بالعادية، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحا عندما يتعلق الأمر بسياق الاحتلال. فالصحفي هنا تتلبّسه من حيث أراد أو لم يرد وظيفة المؤرخ التي ذكرنا ولكن أيضا وظيفة الفاعل في سيرورة التحولات الاجتماعية والسياسية. وقد فعلت شيرين ذلك باقتدار من خلال وجودها الدائم في الميدان ودقّتها في نقل الحقائق.

لنأخذ هذ التقرير على سبيل المثال بشأن إجراءات تفتيش مشددة على الخليل.[44]

يبدأ التقرير بمشاهد لطلاب يدرسون في المدرسة الإبراهيمية في البلدة القديمة في الخليل. وهي لا تبعد بأكثر من عشرات الأمتار عن بيوتهم، ومع ذلك فالحواجز الإسرائيلية جعلت الذهاب إلى المدرسة مهمّة معقّدة شبيهة بالانتقال من مدينة إلى مدينة، كما يقول تعليق شيرين.

---

[44] تاريخ البثّ، 13 أكتوبر 2017 ، مدة التقرير: 2:50 د. الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=q8fmakA5GFQ&list

إننا أمام عمل توثيقي لإحدى الانتهاكات الإسرائيلية بالصّوت والصّورة.

ولا يمنع التلاميذ فحسب من العبور بل يتعرّض الصحفيون للمعاملة ذاتها. وتوثق شيرين هذا المنع من خلال وقفة أمام الكاميرا عند إحدى الحواجز، تقول فيها: **"هذا حاجز آخر في محيط البلدة القديمة في مدينة الخليل حاولنا الدخول عبره لكن جنود الاحتلال وبعد التدقيق في هوياتنا وبعد تفتيش المعدات طلبوا منا أن نخرج مرة أخرى وأبلغونا أنّه ممنوع الدخول بسبب الأعياد اليهودية إلى داخل البلدة القديمة".**

لا تستسلم شيرين وفريقها أمام قرار المنع، فثمّة تاريخ تسجّله الكاميرا، فتحاول العبور من معابر أخرى، وعندما تتعرّض للمنع مرة أخرى، تقترب عبر أحد الأحياء الفلسطينية أكثر ما يمكن إلى الحرم الإبراهيميّ. وهنا نسمع تعليقها المتناسب مع الصورة يقول **"بدا الحيّ لنا أشبه بمدينة أشباح، فالسكان الفلسطينيون هنا يفضلون عدم الخروج من بيوتهم خلال هذه الأيام تجنّبا لمضايقات الجنود إلا عند الضرورة".**

تستمرّ عملية التوثيق والتأريخ من خلال استجواب الشهود، فنشاهد سيدة من الخليل تتحدث عن منعها من الدخول. تواصل الكاميرا الحركة ونقل مشاهد من حياة الفلسطينيين داخل الخليل، حيث يعيشون، **"وكأنهم داخل سجن، يحيط بهم سياج تطلّ عبره على مشهد مختلف تماما".**

وهذا المشهد المختلف الذي تتحدث عنه شيرين ليس سوى شوارع تعجّ بالمستوطنين المحتفلين بمناسبة أعياد اليهود.

ومن مشاهد احتفالات المستوطنين، ينتقل التقرير إلى صورة مفارقة تماما. صورة الحرم الإبراهيميّ حيث يلفّه الصّمت. وفي الخلفية نسمع تعليق شرين أبو عاقلة يتحدث عن الحرم الذي **"يبقى على صمته، لا يُؤذن فيه، ولا يدخله مسلمون لأكثر من يومين متتاليين".**

ولأن مصداقية الرواية تحتاج إلى شهادة، ينقلنا التقرير إلى شهادة مدير الحرم الإبراهيمي. يقول **"اليوم الحرم طبعا مغلق وبالأمس كان مغلقا أمام الوافدين وأمام الزائرين وأمام المصلّين، حتى موظفي الأوقاف، حتى مدير الحرم والسدنة لا يسمح لهم بدخول الحرم بحجّة الأعياد اليهودية".**

ولتكتمل الصورة، تظهر شيرين أبو عاقلة وهي تتحدّث أمام الكاميرا لتلخّص في نحو 20 ثانية الانتهاكات المستمرة منذ سبعين عامًا بحقّ الفلسطينيين، تقول **"حتى قبل سنوات خلت كان محيط الحرم الإبراهيميّ يعجّ بالفلسطينيين، واليوم بات ينهشه الاستيطان. تراقب ساحاته ومحيطه فتظنّ أنك وسط مدينة إسرائيلية حتى يأتيك فلسطينيّ ويقول لك، أهلا بك في مدينة الخليل المحتلة".**

هكذا وثّقت شيرين في تقرير مدته أقل من ثلاث دقائق بشكل مركّز ومكثّف بشاعة الاحتلال والظلم حيث تنتزع الأرض من أصحابها ويمنعون من دخولها ويُحال بينهم وبين دور عبادتهم.

3. الحضور الميداني...
شهادة على جغرافية الوطن المحتلّ

من خلال متابعة تقارير شيرين أبو عاقلة، يتبيّن أن تغطيتها شملت جغرافية الوطن المحتل من الضفة الغربية إلى القدس إلى الخليل إلى قلنديا إلى القرى الحدوديّة مترامية الأطراف. وفي كلّ هذه التقارير كانت شيرين حاضرة في المكان عينه. يشهد على ذلك ظهورها أمام الكاميرا في كل هذه المناطق فيما يسمى في القاموس التلفزيوني بالوقفة أمام الكاميرا (Piece to camera).

والوقفة أمام الكاميرا هي الجزء الذي يظهر فيه المراسل التلفزيوني متحدّثا أمام الكاميرا صوتا وصورة من مكان الحدث حيث تجري القصة التي يغطيها.[45] والهدف الرئيسي من هذه الوقفة التي لا تدوم عادة إلا نحو 20 ثانية تزيد أو تنقص قليلا هو منح التقرير مصداقية لكونها تصوّر في مكان الحدث، وهو ما يعني أنّ المراسل الذي أعدّ التقرير فعل ذلك من الميدان فقد شاهد ما حدث وسمع ما قيل ووثّقه، وليس مجرد ناقل للخبر أو الصورة .[46]

ومن خلال مراجعة عيّنة التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة التي اشتغلنا يمكن أن نسجّل أن شيرين اشتغلت في المدن والبلدات الفلسطينية كلها التي شهدت أحداثا مهمة خلال العقدين الماضيين، وكانت حاضرة في جلّ الأحداث التي عرفتها فلسطين، فنجدها في القدس وجنين والخليل وقلنديا ورام الله وبيت لحم ومن القرى التي تعيش وقع الانتهاكات وتقطيع الأوصال من قبل الاحتلال.

لكن مع هذه التغطية الشاملة لكلّ جغرافية الأرض المحتلة، ثمّة تفاوت في حضور المناطق بحسب رمزيتها وطبيعة الأحداث التي شهدتها، وبدون مفاجأة، كانت القدس المحتلة أكثر حضورا من غيرها، حيث كانت موضوعا لنحو 30% تقريبا من تقارير شيرين أبو عاقلة.

وهذا الأمر يبدو مفهومًا تمامًا بالنظر إلى مركزية القدس بالنسبة للفلسطينيين وموقعها في معادلة الصراع، مما جعلها في قلب المعارك كلّها التي يخوضها الفلسطينيون من أجل التحرر أو الانتهاكات التي يرتكبها الإسرائيليون في حقّهم.

وقد تراوحت المواضيع التي تطرقت لها التقارير بين قضية تدنيس

---

[45] محمد البقالي، كيف تحكي القصة في التلفزيون، مرجع سابق، ص: 80

[46] نفسه

الاحتلال للمسجد الأقصى من قبل المستوطنين ومنع المصلين من الوصول إليه، والمواجهات التي تحدث بين الشبّان الفلسطينيين وجيش الاحتلال، وإضرابات الفلسطينيين احتجاجا على الاعتداءات الإسرائيلية وغيرها.

وعلاوة على هذه المواضيع التي يمكن وصفها بأنها متكررة على امتداد العقود الأخيرة بتكرر الانتهاكات الإسرائيلية، حضرت مواضيع أخرى مرتبطة بأحداث تندلع بين الفينة والأخرى في بعض البلدات، مثل سلوان أو قرية الولجة جنوبي غرب القدس، أو حيّ الشيخ جرّاح الذي تريد إسرائيل طرد سكانه.

ومن جنين كان حضور شيرين لافتا في تغطية محاولات جيش الاحتلال الإسرائيلي المستمرّة لاقتحام المدينة والمواجهات التي شهدتها، مما جعل منها "مراسلة حرب" بامتياز، وهي المدينة التي ستوقّع فيها بدمها على نهاية مسار إنساني ومهني حافل يوم 11 من مايو 2022 بعد اغتيالها برصاصة إسرائيلية في تغطية شبيهة بعشرات التغطيات السابقة التي أنجزتها وهي محاولة جيش الاحتلال الإسرائيلي اقتحام المدينة.

وفي الضّفة الغربية كانت شيرين حاضرة بقوة في رام الله (15% من تقارير شيرين أبو عاقلة) تتابع أنشطة السلطة الفلسطينية، ومواقفها من الانتهاكات، وغضب السكان من الاعتداءات. وفي الخليل (10% تقريبا من التقارير)، ومن مخيم قلنديا جنوب مدينة رام الله، ومن قرية أبوغنيم وغيرهما كانت شيرين حاضرة ميدانيا تتابع عملية الاستيطان ومحاولة تقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية وانتفاضة الشبان الفلسطينيين...

وبشكل عام هذه بعض عناوين التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة:

• إضراب شامل بالضفة وغزة احتجاجا على ممارسات الاحتلال الإسرائيلي.

• الاحتلال الإسرائيلي يهدم للمرة الثانية منزل خنساء فلسطين.

• الاحتلال يقتل عاملا فلسطينيا بحجّة محاولته إشعال النيران غرب رام الله.

• الجدار الفاصل في القدس... يعزل منزل عائلة فلسطينية بالكامل عن باقي القرية.

• من خربة حمصا الأغوار، الاحتلال الإسرائيلي يُجلي أكثر من 100 فلسطيني عن بيوتهم.

• شرق قلقيلية: انطلاق المسيّرات الأسبوعية المناهضة للاستيطان بالضفة الغربية.

• من جنين: إصابة العشرات بجروح على إثر تفريق الاحتلال مظاهرة للتضامن مع الأسرى.

• المعاناة اليومية لفلسطينيي الخليل.

وهكذا يمكن أن نلاحظ أن العمل الميداني الذي شكل أساس عمل شيرين أبو عاقلة، كان ممتدًّا على امتداد جغرافية الوطن المحتلّ، وشاملا لكل مآسيه ومعاناته دون تمييز بين منطقة وأخرى وبين قضية وأخرى والمحدد الوحيد هو أهمية الخبر وتأثيره.

وبشكل عام يمكن اختصار المواضيع التي غطّتها شيرين أبو عاقلة في ثلاثة محاور كبيرة:

• الانتهاكات الإسرائيلية: الاعتداءات، الاعتقالات، بناء جدار الفصل العنصري، الحواجز...

• مقاومة الشعب الفلسطيني: الإضرابات، المواجهة المباشرة، العصيان المدني، عمليات المقاومة العسكرية، الرباط في المسجد الأقصى..

• الحياة اليومية للفلسطينيين في ظلّ الاحتلال: وهذه المواضيع غالبا ما تكون موضوع قصة تلفزيونية (فيتشر) بعيدا عن ضغط الأحداث اليومية المتسارعة وقد تكون مرتبطة بشكل من الأشكال بتلك الأحداث: موسم الزيتون، التعليم كفعل مقاومة، الاحتفالات بالأعياد....

الفصل الخامس

مراقبة السلطة أو عندما يُفسِد الصحفي "المهرجانات التنكرية" للأقوياء

كانت شيرين المسطرة التي أقيس بها نفسي
وباقي الزميلات والزملاء مهنيا وأخلاقيا وإنسانيا

وليد العمري
مدير مكتب الجزيرة في فلسطين

لا يتمّ العمل الصحفي بعيدًا عن دائرة العلاقة مع السلطة ومراكز القوّة والنفوذ. فبين الصحفي والسلطة، أيّة سلطة كانت، علاقة مفترضة، تختلف طبيعتها وتتراوح من التبعيّة إلى الصدام بحسب سياقات كثيرة: سياسية مرتبطة بطبيعة السلطة ذاتها، ومؤسساتية مرتبطة بقيم وحسابات المؤسسة التي يعمل الصحفي لأجلها، وفردية تحيل على مواقف الصحفي نفسه وتمثّلاته لدوره المهني وقيمه الذاتية.

ذلك أنه من المعروف أن صاحب السلطة، أيّة سلطة، يملك القدرة على الترغيب والترهيب، ما دام لديه ما يقدمّه للناس من مصالح ومنافع تدفعهم إلى التقرب منه، وآليّاته للإكراه تجعلهم يخافونه ويهابون غضبه. والصحفيون ليسوا بعيدين عن دائرة التأثير هذه ترغيبا وترهيبا. بل هم أكثر تعرّضًا لها من غيرهم. لأن لديهم ما يريده صاحب السّلطة ويخشاه: الكلمة.

فالسلطة مسكونة بهاجس التحكم في الفضاء العام -بمفهوم هابرماس-، وبما يروج فيه من مقولات تُسهم في تشكيل التمثّلات والقيم التي قد تتحوّل إلى فعل إمّا يعزّز قبضة هذه السلطة أو ينازعها. لذلك يبدو صاحب السلطة مستعدّا حسب السياق وموازين القوى لبذل ما يجب من إغراءات أو استعمال ما يراه لازمًا من أدوات الإكراه لتحقيق هذا الهدف.

لماذا قُتِلت شيرين أبو عاقلة، وقبلها مئات الصحفيين، والكُتّاب وأصحاب الفِكْر؟ لم يكونوا يحملون سلاحًا ولا يطلبون سلطة، كانت لديهم فقط كلماتهم. لكن الكلمة لها قوتها؛ لأن لها قدرة على خلق تمثّلات موازية لها، والتمثّلات تتحوّل إلى قناعات، والقناعات قد تتحوّل إلى فعل. من هنا يجد الصحفي المهني، باعتباره منشغلا بالكلمة في مواجهة مباشرة مع مراكز السلطة والنفوذ.

ذلك أنه إذا كان دور الصحفي الرئيسي هو "الإخبار" فإنّ ثمّة أدوارًا أخرى ثانوية ضمن هذا الدور قصَدَها الصحفي أو لم يقصدها، تتمثّل في بناء التصورات الكبرى وتمثّلات الذات والآخر وصياغة أشكال التفاعلات المختلفة مع القضايا الكبيرة منها والبسيطة.

وذلك من شأنه أن يستثير كل من يملك سلطةً ما ليحاول أن يؤثر على طبيعة هذا الخبر وصياغته، وإذا كانت محاولة التأثير تتمّ عن طريق العمليات التواصلية في الدول الديموقراطية، فإن الأمر قد يصل إلى التهديد أو القتل في الأنظمة السلطوية أو أنظمة "الأبارتايد" ودول الاحتلال.

1- الصحافة في مواجهة السلطة... نماذج متباينة...

تاريخيا منذ ظهور الصحافة كانت هذه العلاقة الملتبسة بين الصحفي والسلطة مثار اهتمام من قبل المهنيّين، ومحلّ دراسة وتحليل من قبل الباحثين في مجال علوم الإعلام والاتصال. ذلك أن وسائل الإعلام ذاتها تمثّل شكلًا من أشكال السلطة، ووفقا لجون تومسون فإنّها تمثّل أحد الأشكال الأربعة للقوة الرمزية إلى جانب القوة الاقتصادية والسياسية والقسرية[47].

وقد تمّ تبنّي هذا التّصنيف للسلطة من قبل نيك كولدري الذي يحدّد قوّة الإعلام من خلال قدرتها على "بناء الحقيقة"[48] ، والمقصود بالحقيقة

[47] THOMPSON, John B. The Media and Modernity: A Social Theory of the Media, Stanford, California, Stanford University Press,1995, p:17

[48] COULDRY, Nick, The Place of Media Power: Pilgrims and Witnesses of the Media Age, Routledge, 2000, London

هنا ما يتمثّله المتلقّي على أنه حقيقة، ذلك أن المؤسسات الإعلامية تمتلك القدرة على تأطير الأحداث من خلال إنشاء رسائل بأشكال رمزية يعتمد عليها المجتمع مصدرًا لفهم العالم من حوله.

وبنفس مفهوم الحقيقة هذا، يؤكد أوليفر بويد-باريت أن وسائل الإعلام تصوّر العالم "الحقيقي" وتعكسه وتصفيه وتفاوضه، بحيث تتأثر طرقنا في معرفة هذا العالم بوسائل الإعلام والافتراضات المنتشرة حول قوّة وسائل الإعلام[49].

وهكذا ينبغي بالأحرى فهم عمل وسائل الإعلام على أنه نظام اجتماعي وثقافي حاضر بقوّة لإنتاج الرموز والعلامات والرسائل والمعاني والقيم ونشرها وتداولها[50].

ودون حاجة للخوض في النظريات التي ناقشت هذه العلاقة بين الصحافة والسلطة، نكتفي هنا بالتصنيف النظري الذي حظي بقبول واسع داخل أوساط الباحثين لكل من دانهيو وتشنر وأولين (Olien, Donohue & Tichenor)[51] والذي قام على استعارة وصف من خلالها طبيعة العلاقات التي تجمع وسائل الإعلام والسلطة والمجتمع.

1- وظيفة المراقبة أو وظيفة "كلب المراقبة" (Watchdog) وفق استعارة الباحِثين، وهذه وظيفة تقوم فيها وسيلة الإعلام بدور الرقابة على المؤسسات القوية والنافذة في المجتمع. وهي تتمثل بذلك موقعها كسلطة رقابة على بقية السلطات الأخرى. وهذا الدور يعني

---

[49] BOYD-BARRETT, Oliver, "Theory in Media Research", The Media Book, Chris Newbold, Oliver Boyd-Barrett and Hilde Van Den Bulck (Eds), Arnold: London, 2002, p:16

[50] Idim

[51] George A. Donohue, Phillip J. Tichenor, Clarice N. Olien Journal of Communication, Volume 45, Issue 2, June 1995, Pages 115–132,

أن الصحفي يقوم بمتابعة السلطة، ومراقبتها ومساءلتها في إطار ما تخوّله مهنة الصحافة بما يمثل امتدادا لتصنيف الصحافة سلطة رابعة. وإذا كان دور المراقبة حاسما في الأنظمة الديموقراطية حيث يمكّن الناخبين من فهمٍ أفضل لسير العمل السياسي في بلدهم وبالتالي من اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن اختيار حكامهم، فإن هذا الدور يصبح أكثر أهمية عندما يتعلق الأمر بالاحتلال، حيث يصبح دور المراقبة الذي تقوم به الصحافة حاسما في كشف الحقائق التي يحاول الاحتلال أن يخفيها، ويتجاوز شقه السياسي ليأخذ بعدا تأريخيا وحضاريا.

2- وظيفة الحراسة أو وظيفة "كلب الحراسة" (Guard dog)، تشير استعارة كلب الحراسة إلى أن وسائل الإعلام تؤدي دور الحارس ليس للمجتمع ككلّ، ولكن للمجموعات التي لديها قوة وتأثير كافٍ لإنشاء أنظمة الأمن الخاصة بها والتحكم فيها. وقد تقوم وسائل الإعلام التي ارتضت هذا الدور بين الفينة والأخرى بانتقاد هاته القوى المتنفذة في حال صدامها مع بعضها أو في حال خرق أحد أفراد هذه الطبقات المسيطرة لقواعد النظام القائم وقيمه. لكن التركيز في الانتقاد يكون على الفرد وليس على النظام ذاته. ووفق هذه النظرية فإن وسائل الإعلام التي تقوم بحراسة المؤسسات النافذة في المجتمع تكون شديدة الحرص على متابعة أي عنصر جديد دخيل من شأنه أن يؤثر على سير النظام القائم. وينطبق هذا الوصف على معظم وسائل الإعلام التي تنتمي إلى مجموعات صناعية أو مالية أو سياسية ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسلطة.

ولا ينحصر هذا التقييم للعلاقة مع السلطة في المجال الصحفي بل يمتد أيضا إلى المثقفين والعاملين في المجال الفكري. في عام 1932 نشر بول نيزان "Les Chiens de garde"[52] للتنديد بالفلاسفة والكتاب في عصره الذين ارتضوا لأنفسهم تحت غطاء الحياد الفكري أن يتحولوا

[52] Paul Nizan, Les chiens de garde, éditions Rieder, 1932, Paris

إلى حراس للنظام القائم. وفي عام 1997 نشر الصحفي والباحث الفرنسي سيرج حليمي كتابا كان له دويّ كبير اختار له عنوان "كلاب الحراسة الجدد"[53] (Les nouveaux chiens de garde) للصحفيين وكتاب الأعمدة وخبراء الإعلام الذين تحولوا بسبب ارتباطاتهم بمراكز المال والسلطة إلى حراس للنظام القائم ومدافعين عنه بعيدا عن قيم التعددية والاستقلالية والموضوعية.

3- وظيفة صحافة السلطة أو ما يسمى استعارة "وظيفة الكلب الأليف" (Lapdog)، ويمثّل نموذجًا للصحافة المرتمية في أحضان السلطة. ودورها هنا يتماهى مع دور السلطة، فتصبح متحدثة باسمها داعمة لمواقفها عاملة على إدامة الاستغلال والتفاوتات الاجتماعية التي تستفيد منها في ظل هذا النموذج.

4- وعلاوة على هذه النماذج يمكن إضافة نماذج أخرى تفصيلية تتقاطع بشكل أو بآخر من النماذج السابقة، من قبيل وظيفة المرشد الذي يمدُّ المواطنين بالمعلومات الكافية عن السياسات وأصحاب القرار بما يمكنهم من اتخاذ القرار. أو وظيفة القائد أو وضع الأجندة (Agenda setting)، وهذه النظرية اقترحها مكومبس وشو في عام 1972، وتقوم على فكرة أن وسائل الإعلام هي التي تحدّد بدقة الطريقة التي يتم بها هيكلة اهتمامات الجمهور، إذ يمكن لوسائل الإعلام أن تساهم في التأثير على المتلقين من خلال تسليط الضوء على حدث ما بدلاً من آخر، أو مسألة دون أخرى.

ولخّص ماكومبس وشو الآلية في عبارة أصبحت مشهورة جدًا: "قد لا تنجح الصحافة في معظم الوقت في تحديد ما يجب أن يكون عليه تفكير الناس، لكنّها فعّالة للغاية في إخبارهم بما يجب عليهم التفكير

---

[53] Serge Halimi, Les nouveaux chiens de garde, Raison d'agir, Paris, 1997

فيه"[54]. أي إن الصحافة فعّالة جدًّا في توجيه تفكير الناس لقضايا بعينها عوضا عن أخرى من خلال تركيز التغطية الإعلامية عليها. وتأثير وسائل الإعلام في هذا المستوى لا يقتصر على عملية الانتقاء، أي تسليط الضوء على حدث بعينه، بل يمكن أن يتّخذ شكلاً مختلفًا تمامًا: ألا وهو الإبعاد، أي حرمان هذه الأحداث من الظهور في المشهد الإعلامي من خلال إصدار حكم بأن الشروط الضرورية الإعلامية أو السياسية أو هما معا لم تتوفرا ليجد هذا الحدث طريقه إلى وسائل الإعلام.

إن عمل وسائل الإعلام يقوم أساسا على هذا المسار "الانتقاء، الإبعاد Exclusion، والإدماج Inclusion"[55]. إنه تصور أساسٌ لفهم سلطة وسائل الاعلام وقوّتها. لأنه عبر مسار الانتقاء والإبعاد والإدماج تقدم وسائل الإعلام سرديات مختلفة "للحقيقة".

وعبر هذا المسار القائم على الانتقاء والإبعاد والإدماج، تتمكّن وسائل الإعلام من خلق فضاء إعلامي تتحرّك عبره الخطابات المختلفة والمتناقضة أحيانا. لذلك كتب ريجيس دوبري أن العمل الصحفي يمثل بشكل من الأشكال قمة العمل الفكري، لأنه ينتقل من الفكر التجريدي المفترض في الصحفي معرفته، إلى العمل الواقعي الذي يمثّل مجال اشتغاله[56].

أين تقع تقارير شيرين أبو عاقلة ضمن هذا النسق النظري؟

يمكن أن نلاحظ دون عناء بحث أن كلّ التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة تندرج ضمن صحافة مراقبة السلطة متمثلة في الاحتلال الذي

---

[54] Derville, Grégory. "Chapitre 2. L'influence politique des médias au-delà de la propagande", , Le pouvoir des médias. sous la direction de Derville Grégory. Presses universitaires de Grenoble, 2017, pp. 41-85.

[55] BEBAWI, Saba, Media power and global television news: The Role of Al Jazeera English, London New York, I.B.Tauris & Co. Ltd . 2016, p: 95

[56] Antoine Spire, Le pouvoir du journalisme, Communication & Langages Année 1983 55 pp. 110-122

يمثل سلطة الأمر الواقع، من خلال كشف وتوثيق الانتهاكات والاعتداءات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي من جهة والمستوطنين المدعومين من قبله من جهة ثانية. فعلى امتداد خمس وعشرين سنة من العمل الميداني ثمّة خيط ناظم يربط بين التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة، يتمثل في كشف الانتهاكات وتوثيقها بالصوت والصورة لكن دون سقوط في الدعاية أو المبالغة أو كل ما من شأنه أن يثلم في القواعد المهنية والأخلاقيات.

وعملية مراقبة السلطة هنا، تتم على أكثر من مستوى: الكشف والإظهار لما تريد السلطة/الاحتلال إخفاءه، التحقق والتدقيق في روايات السلطة/الاحتلال وتمحيصها، ومنح الكلمة للأطراف التي لا تريد السلطة/الاحتلال أن تُسمع كلماتها.

2- الانتصار للمهنة في مواجهة الاحتلال: الكشف في مواجهة الإخفاء

بقدر حرص الاحتلال على تنفيذ مخططاته بكل الطرق الممكنة، مهما كانت دموية أو غير أخلاقية، فهو يحرص أيضا على أن تتم الانتهاكات بعيدا عن عدسات الكاميرات، أو وفق رواية "تبرر" هذه الانتهاكات وتجعلها مقبولة على المستوى الدولي. ويبدأ عملية تبييض الصورة هذه بتسمية جيش الاحتلال بجيش الدفاع الإسرائيلي ولا تنتهي بتبرير كل عملية قتل لفلسطيني بكونه كان بصدد محاولة طعن جندي، أو ارتكاب "عمل إرهابي" وغيرها. ورغم أن إسرائيل تتمتع بدعم دولي لم تتمتع به دولة أخرى في التاريخ، فإنها تتصرف بمنطق إذا كان بالإمكان القتل في صمت فلم البحث عن الضجيج؟

فالعلاقات الدولية الحديثة تأخذ دور الرأي العام العالمي، وتأثيره في صناعة القرار السياسي واختيار المسؤولين، ومن ثم هناك حرص لدى الدول كلها بدون استثناء ديموقراطية كانت أو ديكتاتورية (كوريا الشمالية تشكل حالة خاصة في هذا السياق) على صورتها على المستوى العالمي. وعملية بناء تصورات الرأي العام العالمي بشأن أي قضية لا تتمّ منفصلة عن العمل الإعلامي، فهي حاضرة بقوة في عملية "بناء الحقيقة" التي تشكل استتباعا المواقف الدولية.

لذلك ثمة حرص على إخفاء الحقائق وتغيير المعطيات بما يقدّم صورة الاحتلال في وضع الدفاع عن النفس ضدّ مجموعة من "المخرّبين والإرهابيين". وهذه الرواية لا يمكن أن تنجح إلا من خلال إخفاء حقائق الصراع سواء في بعده التاريخي (التهويد وتغيير الجغرافيا) أو في بعده الحدثي (تحميل مسؤولية الانتهاكات للضحية وليس للجلاد).

لذلك فإن علاقة الصحفيين الفلسطينيين عندما يتعلق الأمر بتغطية الأوضاع في الأراضي المحتلة مع سلطة الأمر الواقع وهي الاحتلال تأخذ مسبقا شكلا متوترا وعدائيا. فالاحتلال بطبعه لا يريد لممارساته أن تظهر للعيان، خاصة إذا كان مثل الاحتلال الإسرائيلي الذي يبحث له عن سردية تبرر وجوده في أرض شعبٍ طُرِدَ وهُجِّرَ، وهو والحال هذا يجد نفسه في تناقض طبيعي مع كل ممارسة صحفية مهنية. وهو ما يفسر حجم الاعتداءات التي تطال الصحفيين في الأراضي المحتلة والتي تصل إلى درجة القتل.

وفقا لأرقام مراسلون بلا حدود[57] فإن إسرائيل قتلت 35 صحفيا فلسطينيا منذ عام 2000 أي أن أكثر من صحفي يسقط كل عام برصاص الاحتلال،

---

[57] الخبر أوردته وسائل إعلام كثيرة موثوقة. انظر على سبيل المثال صحيفة لوموند الفرنسية في عددها الصادر يوم 14 مايو 2022.
https://www.lemonde.fr/international/article/2022/05/14/israel-est-regulierement-accuse-de-cibler-les-journalistes_6126094_3210.html

بينما تؤكد أرقام نقابة الصحفيين الفلسطينيين أن عدد القتلى تجاوز 48 خلال الفترة نفسها[58].

وهنا الحديث يعني فقط عمليات القتل أما الإصابات والاعتقالات فليست هناك أرقام محددة بشأنها. ولكن بشكل عام ثمة مناخ عدائي من قبل سلطة الاحتلال يجعل من ممارسة الصحافة بما يخالف رواية الاحتلال "جريمة" توجب العقاب الذي قد يصل إلى القتل كما حصل مع شيرين نفسها.

هكذا تشتبك المساحات بين عمل الصحفي وعمل المناضل دون أي رغبة من الصحفي أو نيّة. فيجد نفسه يشتغل في بيئة معادية تهدده في كل تغطية بالاعتداء أو القتل مادام وجد في مكان لا ترغب سلطات الاحتلال في نقل ما يحدث فيه.

يحتاج الصحفي في سياق مثل هذا إلى مؤسسة تسنده. لنتذكر ما سبق أن ذكرناه بشأن حديث عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو وهو يتحدّث عن دور الصحفي وتمثله لمهنته وكيف يرتبط ذلك بشكل وثيق بقيم مؤسسته وثقافتها.

على هذا المستوى يمكن الجزم أن شيرين أبو عاقلة وجدت في الجزيرة المؤسسة التي تدعم ممارسة مهنيّة شُجَاعة في بيئة عدائية رغم المخاطر التي تهدّد الصحفي والقناة.

فميثاق الشرف المهني للجزيرة ينصّ على الجرأة في الفقرة الأولى منه فيتحدث عن "التمسك بالقيم الصحفية من صدق وجرأة وإنصاف

---

[58] الخبر أوردته وسائل إعلام كثيرة موثوقة. انظر على سبيل المثال
https://www.aa.com.tr/fr/monde/syndicat-palestinien-46-journalistes-ont-%C3%A9t%C3%A9-tu%C3%A9s-par-isra%C3%ABl-depuis-lan-2000/2032355

وتوازن واستقلالية ومصداقية وتنوع دون تغليب للاعتبارات التجارية أو السياسية على المهنية"[59].

ولأن الجرأة قد تورث المخاطر، ينصّ الميثاق في مادته العاشرة على "الوقوف إلى جانب الزملاء في المهنة وتقديم الدعم لهم عند الضرورة وخاصة في ضوء ما يتعرّض له الصحفي أحيانا من اعتداءات أو مضايقات، والتعاون مع النقابات الصحفية العربية والدولية للدفاع عن حرية الصحافة والإعلام"[60].

لكن إعلان الجرأة نهجًا في ممارسة المهنة لا يكفي دون صحفيين جريئين. والعمل الميداني في ذلك هو الفيصل. وعلى هذا المستوى، يمكن أن نلحظ بسهولة من خلال المواضيع المطروقة ومواقع التصوير أن شيرين أبو عاقلة قامت بدورها في "مراقبة سلطة الاحتلال" دون أي مواربة وبشجاعة كبيرة، من خلال كشف الحقائق موثقة بالأدلة القاطعة ومتمثّلة في الصورة والشهادة الحيّة. وسنضرب بعض الأمثلة من خلال تقاريرها.

يتطرق التقرير التالي الذي سندرسه لمعاناة سكان قرية بورين بنابلس بسبب اعتداءات المستوطنين[61].

يبدأ التقرير بصور من داخل القرية التي تتعرض لاعتداءات المستوطنين، ومع الصور التي توثق لهذه الاعتداءات ينقل التقرير شهادات أهالي القرية عما يتعرضون بشكل يومي من هجمات من قبل المستوطنين،

---

[59] https://network.aljazeera.net/ar/our-values/standards#page-17

[60] نفسه

[61] تاريخ البث: 10 أكتوبر 2013، مدة التقرير: 2:17 دقيقة، الرابط
https://www.youtube.com/watch?v=5pICA-jQYgg&list

ترافقها صور لآثار الدمار التي خلفها الهجوم. مما جعل كثيرين مضطرين إلى البقاء في بيوتهم ما حوّلها **"إلى ما يشبه السجن. لا يغادره الأطفال إلا لمدرستهم"** كما ورد في نص التقرير بصوت شيرين. بل أكثر من ذلك فالمستوطنون يقومون بسرقة المواشي، فلم **"تسلم إلا تلك الدجاجات بعد أن سمّمت الأغنام وسرق ما تبقى من حيوانات".**

يؤدي ذلك إلى حالة الخوف الدائم الذي يعيش على وقعه سكان القرية الذين يرقبون عودة أطفالهم من المدارس بقلق. وكل هذه الاعتداءات تقع تحت سمع وبصر بل وبدعم جيش الاحتلال.

ففي التقرير تنقل شيرين أن دوريات الجيش التي لا تتدخل إلا لدعم المستوطنين. وعلى امتداد التقرير نشاهد ما كل ما لا ترغب "السلطة" في إظهاره، وهي عملية الاعتداءات المستمرة المدعومة من قبل جيش الاحتلال، وهو بذلك يهدم الرواية الإسرائيلية التي تقوم على تحميل الفلسطينيين مسؤولية المواجهات، ونفي دعم الجيش للمستوطنين أثناء اعتداءاتهم.

وهنا مثال آخر لتقرير حول طرد الاحتلال لأكثر من أكثر من 100 فلسطيني عن بيوتهم[62].

يتعلق الأمر بسكان خربة حمصا في الأغوار التي يسكن فيها نحو 10 آلاف فلسطيني يعيشون في ظروف قاسية في خيام وبيوت صفيح، حيث يمنعهم الاحتلال من تشييد المنازل بينما يعتمدون هم على تربية المواشي والزراعة. تتعامل إسرائيل مع هذه المنطقة باعتبارها منطقة أمنية، حيث تجري فيها أحيانا تدريباتها العسكرية وهذه التدريبات تكون ذريعة لطرد السكان من بيوتهم لمدة يحدّدها الاحتلال، وليس لأحد من السكان أن يعترض وإلا فإن القرار سيتم تنفيذه بالقوة.

في هذا التقرير تتابع شيرين واحدة من القصص المتكررة التي يعيش على وقعها السكان، وهي أوامر الإخلاء، فيتابع معاناة السكان أثناء اضطرارهم لإخلاء بيوتهم في ساعات الصباح الأولى ليقضوا اليوم كله في العراء.

يبدأ التقرير بصورة المراسلة شيرين أبو عاقلة قبل شروق الشمس من داخل الأغوار، وفي الخلفية الخيام البائسة التي يعيش فيها السكان. تقول شيرين **"لم تبلغ الساعة السادسة صباحا بعد ومع ذلك فإن كلّ من يسكن خربة حمصا في الأغوار استيقظ، ويستعدّ ليغادر بيته بانتظار نهار شاقّ وطويل. قصة اليوم، ليست حدثا نادرا، بل هي قصة معاناة تعيشها العائلات الفلسطينية في منطقة الأغوار بسبب الاحتلال، على مدار العام".**

---

[62] تاريخ البث: 27 يونيو 2018 مدة التقرير: 2:31 دقيقة. رابط البث:
https://www.youtube.com/watch?v=1L4Oitvl7Io&list

وبعد أن وضعت المُشاهد في السياق تنخرط في نقل "رحلة الآلام" بالصوت والصورة: تتابع صور الأطفال والنساء والرجال الذين يحملون بعض أمتعتهم وهم ينتقلون عبر جرّار، آخرون ترافقهم أغنامهم دون وجهة محدّدة. قوة الصور يعضدها نصّ التقرير الذي يقدّم تفاصيل وافية عن القصة **"ستة عشر عائلة فلسطينية استيقظت قبل طلوع النهار تنفيذا لأوامر جيش الاحتلال بإخلاء بيوتها ابتداء من السادسة صباحا وحتى الثامنة مساء بعضهم يأخذون أغنامهم وآخرون يتركونها خلفهم، يصطحبون أطفالهم وقليلا من الطعام والماء، ما من وجهة محددة أمامهم، فالمهمّ بالنسبة إلى الاحتلال هو خروجهم من هذه الأراضي التي اختارها الجيش لإجراء تدريباته العسكرية".**

الصور اختيرت بعناية طفل فلسطيني ينظر بخلسة خلف جدار مثقوب، (مشهد أب يضع طفله في الجرار للمغادرة).

هذا التقرير نموذج على تقارير كشف ما يريد الاحتلال إخفاءه، فالقصة والصور المرافقة تضع الاحتلال في موضع الاتهام أمام القانون الدولي والإنساني.

ويتأكد ذلك من خلال محاولة الاحتلال منع التصوير وتهديده لفريق الجزيرة بالاعتقال وهو الأمر الذي تمّ توثيقه بالكاميرا.

يستمر التقرير في مرافقة المهجرين في هذه الرحلة، ويستقي شهادات بعضهم، وفيها تُحكى حالات إنسانية قاسية لأطفال ونساء ورجال في وضع صعب، لينتهي التقرير بصورة أطفال يفترشون الأرض وهم يأكلون.

في هذا التقرير جمع كل ما يرغب الاحتلال في إخفائه، فثمة من جهة القصة التي تهدم رواية الاحتلال القائمة على تبرير كل الممارسات والانتهاكات ومحاولة تحميل المسؤولية للفلسطينيين، فالأمر هنا يتعلق بأسر مدنية مسالمة تهجر من ديارها بشكل متكرر بدون سبب، ثم هناك محاولات الجيش منع التصوير وهو الأمر الذي وثقته الكاميرا، ثم هناك الصور الإنسانية الدالة بقوّة على الانتهاكات التي تتعرّض لها الفئات الأكثر ضعفا في المجتمع، وهم النساء والأطفال، ثم هناك الشهادات

العفوية والمعبرة التي تحكي المأساة على لسان أصحابها وتصلح لأن تكون شهادات في حال تقديم مرتكبي الانتهاكات إلى المحاكمة.

3- التّحقّق من الرواية الإسرائيلية ... عندما تتحوّل الصحافة إلى "جهاز لكشف كذب الاحتلال"

تقوم عملية التّحقّق في الصحافة على التأكد من صدق رواية السلطة أو الطرف الأقوى الذي يملك أدوات الإكراه والقدرة على إخفاء الحقائق بالشكل الذي يصعب معه تبين حقيقة روايته. وهي تندرج ضمن ما تسمى بـ "صحافة المراقبة" Watching Journalism وتمثل شكلا من أشكال الصحافة الاستقصائية، تقوم مهمتها على تنبيه الرأي العام بشأن مصداقية أقوال المسؤولين والعاملين في الحقل العام وأفعالهم.

وقد ارتبطت عملية التحقق بالصحافة منذ ظهورها، لكنها أخذت شكلها وتسميتها بشكل أوضح منذ عام 2000 في الولايات المتحدة، وأصبحت جنسا صحفيا قائما بذاته مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي وتطور التقنيات الحديثة التي سمحت بسهولة تزييف الحقائق ونشرها، كما مكّنت أيضا في المقابل الصحفيين من أدوات لاكتشاف هذا التزييف والحدّ منه.

وبغض النظر عن الجانب التقني المتعلّق بهذا التوجه المهني، فإن الاشتغال على التّحقق، يفرض بدءا انخراط الصحفي في ممارسة مهنية تعلي من شأن الحقيقة وترفض مقايضتها مقابل امتياز القرب من السلطة أو النّخب المتحكّمة. ويسمح باستعادة الصحافة لصدقها والتزامها تجاه الجمهور.

ورغم أن شيرين أبو عاقلة لم يكن تخصصها هو الصحافة الاستقصائية، لكن معظم تقاريرها كانت بشكل من الأشكال تندرج ضمن هذا النوع من الصحافة القائم على البحث عن الحقائق المغيّبة وكشفها ومواجهة السلطة بما تحاول أن تخفي.

الواقع أن هذا الدور الذي قامت به شيرين في سياق عملها جاء متناسقا مع طبيعة اشتغالها اليومي على امتداد لمدة ربع قرن، وذلك لتوفر مجموعة من الشروط التي تجعل من الصحفي ليس مجرد ناقل للخبر الذي ينقله عن مصادره، وإنما شاهدا وموثقا له روايته القائمة على المشاهدة الذاتية وشهادة الآخرين المثبتة بالوقائع في الميدان وبشهادة الضحايا، وبالصورة الموثقة.

لنأخذ هذا التقرير حول نقل شبان إسرائيليين للاستيطان في الضفة الغربية لتعزيز المستوطنات[63].

يأتي هذا التقرير في وقت كانت تقول فيه إسرائيل إنها جمّدت الاستيطان، حيث سبق لإسرائيل أن حددت عشرة أشهر مدة للتجميد، لكن قبل أن تنتهي المدة، كانت إسرائيل قد بدأت الاستعداد للعودة من جديد لبناء المستوطنات العشوائية.

التقرير يعتمد على تقرير لحركة "السلام الآن" الإسرائيلية التي كشفت عن ثلاثة مشاريع استيطانية جديدة وضع لها حجر الأساس، بل وبدأت في نقل مستوطنين شبان إليها.

---

[63] تاريخ البث: 19 أغسطس/آب 2010، مدة التقرير 2:29 دقيقة، رابط التقرير:
https://www.youtube.com/watch?v=4-j2kpXca_8

يعتمد التقرير على شهادة مسؤولين من حركة السلام الآن الذي يؤكد أن إسرائيل بدأت مشروعا **"لإحضار طلبة للعيش في المستوطنات، تحديدا، في البيوت الفارغة داخل المستوطنات، وتوفير منح دراسية لمن يأتي للعيش هناك. هذا نوع من تعزيز المستوطنات القائمة".**

علاوة على ذلك، ينقل التقرير بناء على شهادات موثقة لحركة السلام الآن أن **"إسرائيل ورغم قرار تجميد الاستيطان في الضفة الغربية، فإنها تقوم ببناء ستمئة وحدة استيطانية جديدة في ستين مستوطنة مختلفة إلى جانب ألفيّ وحدة استيطانية كانت قد بدأت بإقامتها قبل قرار التجميد".**

وهذا الأمر هو الذي يوضحه الطرف الفلسطيني من خلال نمر حماد، مستشار الرئيس الفلسطيني الذي يؤكد أن بناء **"المستوطنات يعني أن حلّ الدولتين سيصبح غير قابل للتحقيق".**

لا تكتفي شيرين بتقرير منظمة "السلام الآن" ولكن تتوجه إلى الميدان حيث مازالت أشغال الاستيطان قائمة، وتذكر بالاسم مستوطنات "موديعين عيليت" و"جفعات زئيف" و"معاليه أدوميم".

أهمية هذا الكشف يتمثل في نفي الرواية الإسرائيلية التي كانت تؤكد التزامها بقرار التجميد تطبيقا لقرارات مجلس الأمن الدولي، ومن ثم تشكك في جدية إسرائيل في موضوع استئناف المفاوضات مع الفلسطينيين وهي التي كانت تروج في تلك في المرحلة عن نيّتها في استئناف هذه المفاوضات.

في تقرير آخر[64] توثق شيرين بالكاميرا اعتداءات المستوطنين الإسرائيليين على الفلسطينيين. لا تخفى أهمية توثيق هذه المشاهد في دحض الرواية الإسرائيلية القائمة على خطاب المظلومية وتوضيح الصورة الحقيقية أمام الرأي العام الدولي الذي ليس بالضرورة متماهيا مع مواقف حكوماته، ثم إحراج إسرائيل حتى أمام داعميها من الذين يصرحون علنا بحلّ الدوليتين ويعتبرون أن الاعتداء على المصلين أمر غير مقبول.

هكذا يبدأ التقرير بصور الهجمات داخل المسجد الأقصى مع صور واضحة تبرز اعتداءات الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين. في الصوت الطبيعي نسمع أصوات إطلاق الرصاص بينما تعليق شيرين يوضح الصورة أكثر، تقول **"لا تهدأ القدس إلا لتثور من جديد، المشهد ذاته يواجهه المقدسيون كل ليلة. جنود الاحتلال الإسرائيلي مدجّجون بكامل عتادهم وأسلحتهم، ينتشرون في أنحاء المدينة وأحيائها، دون أن يردع ذلك أبناء القدس عن التعبير عن غضبهم إزاء ما يعيشونه من قيود وانتهاكات في أبسط تفاصيل حياتهم بما فيها الصلاة. مواجهة أخرى تجنّب خلالها الاحتلال اقتحام ساحات الأقصى فيما يبدو نتيجة ضغوط وإدانات دولية، دون أن يسلم المصلّون من القمع خلال مغادرة الأقصى بعد صلاة الفجر".**

ومن المسجد حيث يتعرّض المصلّون للاعتداءات فجرًا تنتقل صباحا إلى حيّ الشيخ جرّاح حيث يواجه السكان قرارًا بإخلاء حيّهم الذي يعيشون فيه منذ عقود لصالح المستوطنين. ينقل التقرير شهادة سيّدة اسمها نفوذ حمّاد، تقول **"أنا تزوجت في ال75 هون، من 75 وأنا قاعدة بنفس البيت. وولادي خلفتهم هون وزوّجتهم هون وخلّفوا هون،**

---

[64] تاريخ البث: 2021/5/9، مدة التقرير: 2:44 دقيقة، رابط التقرير:
https://www.youtube.com/watch?v=YWf3HXda58I&list

فتخيّلي بلحظة يجوا ويمسكوكي ويزتوكي بالشارع. كيف شعور أي بني آدم بدو يكون، يعني إشي بيقهر، يعني بيقتلعونا زيّ ما بيقتلع الواحد شجرة من الأرض عم يقتلعونا".

أهمية هذا التقرير في سياق مراقبة السلطة تتمثّل من جهة توثيق انتهاك إسرائيل للقانون الدولي سواء في الاعتداءات أو في محاولة طرد سكان الشيخ جرّاح، فتصبح هذه الشهادات دليل إدانة أخلاقية وطريقة لتفكيك الرواية الإسرائيلية.

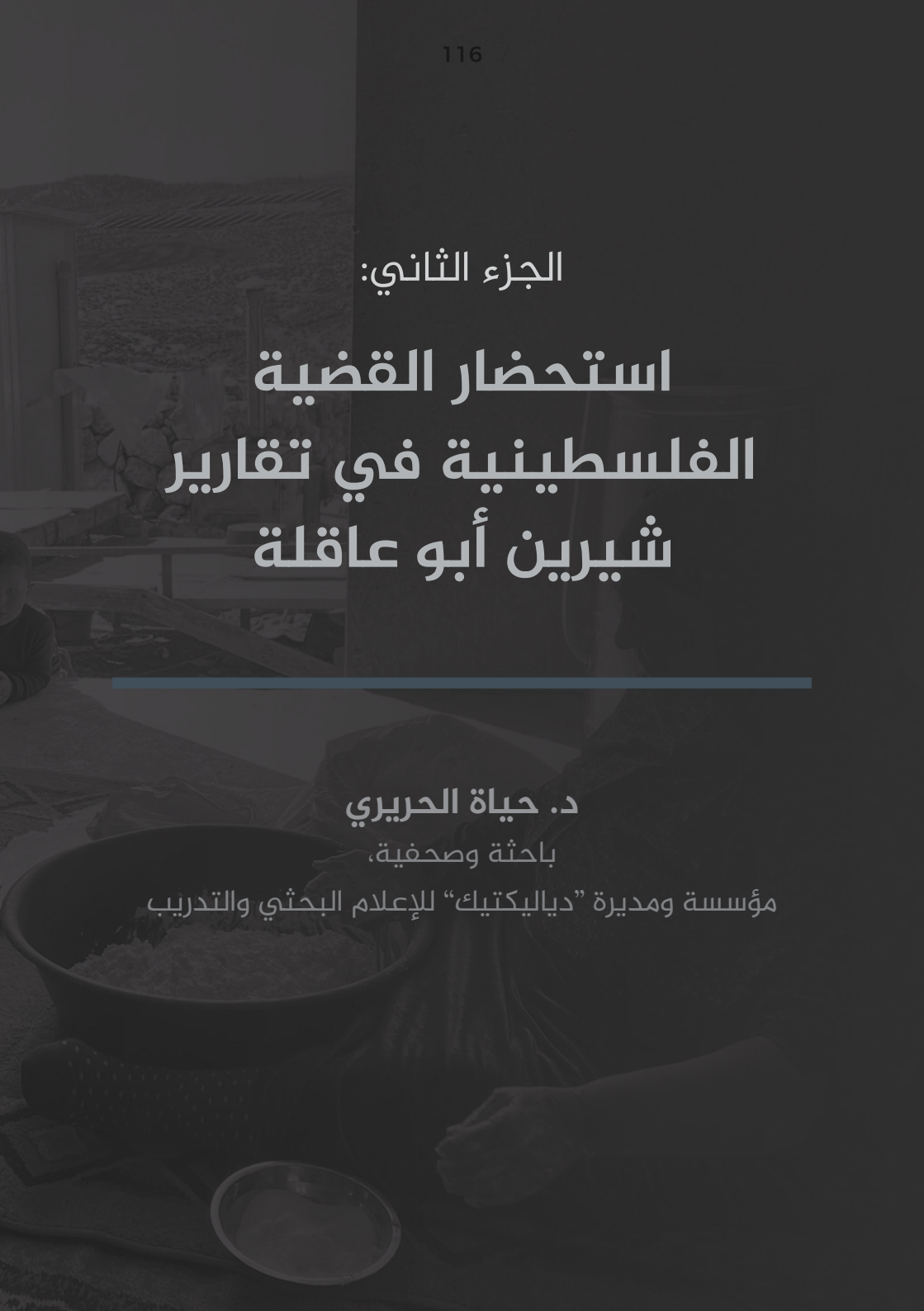

الجزء الثاني:

استحضار القضية الفلسطينية في تقارير شيرين أبو عاقلة

د. حياة الحريري

باحثة وصحفية،

مؤسسة ومديرة "دياليكتيك" للإعلام البحثي والتدريب

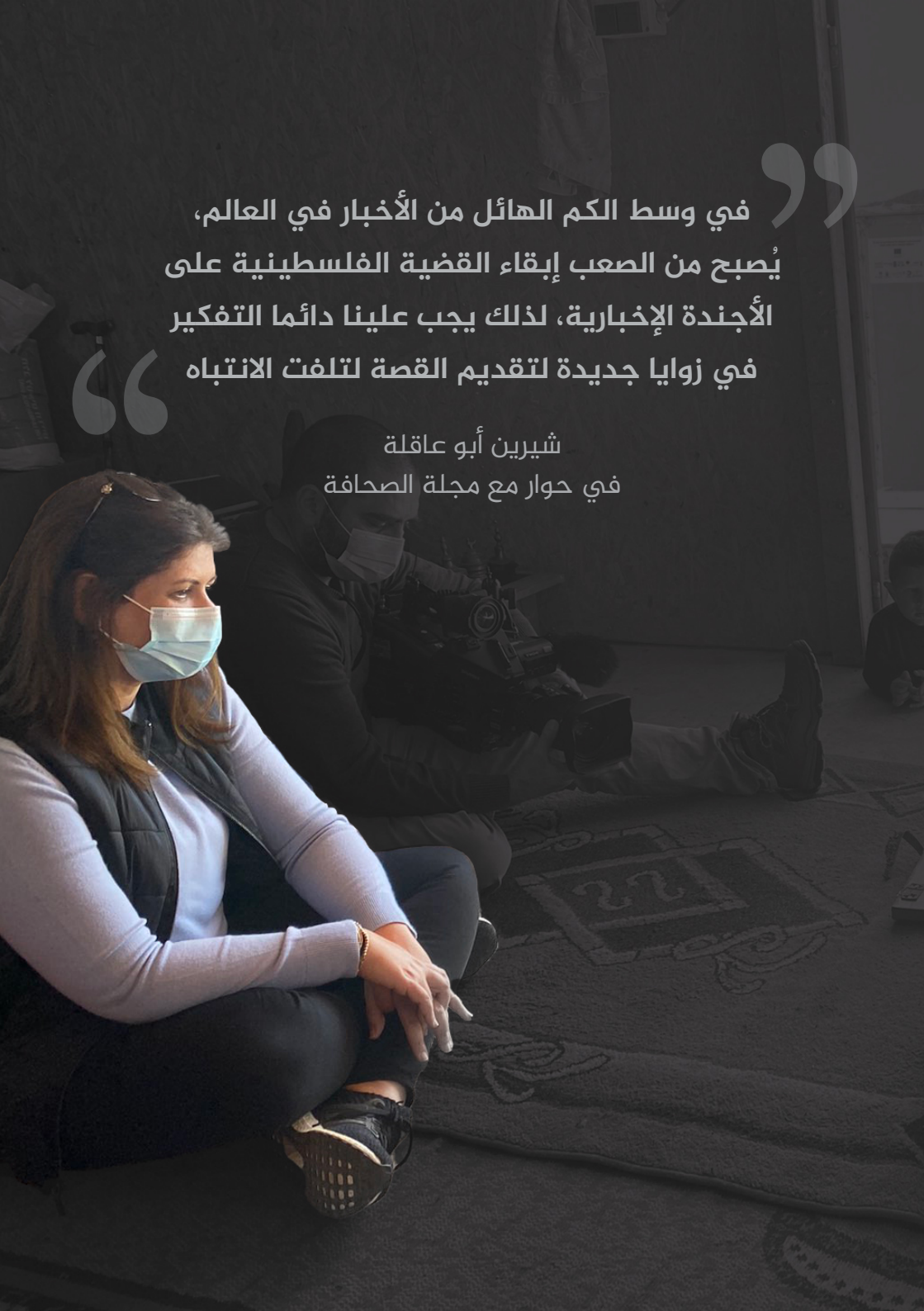

في وسط الكم الهائل من الأخبار في العالم، يُصبح من الصعب إبقاء القضية الفلسطينية على الأجندة الإخبارية، لذلك يجب علينا دائما التفكير في زوايا جديدة لتقديم القصة لتلفت الانتباه

شيرين أبو عاقلة
في حوار مع مجلة الصحافة

تشكل تقارير الصحفية الشهيدة شيرين أبو عاقلة الميدانية مدرسة في الصحافة الملتزمة بأخلاقيات المهنة وقوانينها، من حيث الدقة في نقل المعلومة، وتضمين العناصر الإخبارية اللازمة كلها في السرد الصحفي لتقديم مادة وافية للموضوع، وحضور القصة الإنسانية، وفضح جرائم الاحتلال وممارسات السلطة بمهنية وموضوعية كاملة. لذا يتناول هذا الفصل من الكتاب استحضار القضية الفلسطينية في التقارير الصحفية التي أعدتها شيرين أبو عاقلة، استنادا على منهجية تحليل المحتوى الكيفي. لغاية تفكيك تلك التقارير واستخراج التقنيات التي وظفتها شيرين أبو عاقلة في تقاريرها لاستحضار القضية الفلسطينية ومحاولة جعلها مركزية في الرأي العام الدولي.

يقدّم القسم الأول من هذا الفصل لمحة عامة عن دور الإعلام في المساهمة في صناعة الرأي العام خاصة تجاه القضايا الوطنية والأزمات والحروب، ويتناول أهمية اللغة والمعلومات التي يختار الصحفيون اعتمادها وبثّها في التقارير وأثرها في تكوين الذاكرة والوعي الجماعي تجاه أيّة قضية تطرح. إذ يحاول فهم العلاقة بين عناصر التقرير الإخباري و أثره من المنظور الاجتماعي والثقافي في صياغة الرأي العام وفي توجيهه.

ا. صناعة الرأي العام من المنظور الاجتماعي

منذ العام 1899، أدرك علماء الاجتماع أن الإعلام لا يؤثر فقط في تكوين الرأي العام وتفاعله مع قضايا المجتمع، بل هو يرتبط ارتباطا وثيقا في علم الاجتماع[1] لأسباب عدة؛ منها قدرته في التأثير اليومي على مشاعر المتلقّي، وفي خلق حالة تفاعلية بين الأمم والشعوب عبر مشاركة الأحزان والأفراح[2]. من هنا، فهو يؤدي دورا مهمًّا في تأطير أي صراع لدى الجمهور، حيث تعتبر وسائل الاتصال الجماهيري أداة أساسية لخلق أي حركة أو ثقافة جماهيرية وتطويرها. لهذا، طرحت نظرياتٌ عدة في العلوم الاجتماعية تأثير الإعلام في إحداث تغيير جماعيّ واجتماعيّ مرتكزةً على نقطتين أساسيتين وهما: الأولى أن الاعلام يساهم في تغيير البيئة الاجتماعية مما يؤدي إلى تغيير السلوك البشري حول قضية أو معتقد ما. أما النقطة الثانية، فهي تقوم على فكرة التأثير المباشر في الأفراد الذين سيعززون بدورهم التغيير الاجتماعي العام وبالتالي المجتمع[3].

وفي نقاشهم حول دور الإعلام في توجيه الرأي العام تجاه قضية ما، خاصّة الحروب والنزاعات، يتّجه الباحثون في دراساتهم لتحليل الأسس التي يبني عليها الصحفي عمله. بمعنى آخر، إن النظريات المتخصصة في علوم التواصل والصحافة ركّزت في مجملها على تحليل أصول العمل الصحفي مثل كيفية الحصول على الخبر والطريقة التي يتمّ من خلالها إيصال المعلومة، وآلية اختيار ما يتمّ بثه وما لا يتمّ بثه وغيرها

[1] Yarros, V.S. (1899). “The Press and the Public Opinion”, American Journal of Sociology, Nov., Vol. 5, No. 3, pp. 373-382.

[2] Yarros, V.S. (1899). “The Press and the Public Opinion”, American Journal of Sociology, Nov., Vol. 5, No. 3, pp. 373-382.

[3] Palmer, J. R. (1971). “Theories of Social Change and the Mass Media”, The Journal of Aesthetic Education, Oct., Vol. 5, No. 4, pp. 127- 149.

من الأمور التي تتعلق بالعمل الميداني. ولعلّ أبرز النظريات المتعلقة بتحليل المحتوى الإعلامي هي نظريتا "وضع الأجندة Agenda-Set-ting" و"التأطير Framing". وتعنى نظرية وضع الأجندة بتحليل الآلية التي تحدّد فيها وسائل الإعلام القضايا التي تتناولها في تغطياتها والتي ترى أنها تحدّد ما يهتم به الجمهور من قضايا، وفي المقابل ما لا يُدركه الجمهور من قضايا عمدت وسائل الإعلام على تجاهلها. وتباعا، تُعنى نظرية التأطير بتحليل الطريقة التي تعالج بها وسائل الإعلام القضايا التي قررت أن توردها في تغطيتها، من اختيار المعلومات التي توردها وتلك التي تحذفها، زوايا المعالجة، المصطلحات المستخدمة في توصيف القضايا وأطرافها، وكذلك نوعية المصادر وانتماءاتها وغيرها.

لا يهدف هذا الفصل إلى مناقشة معمّقة حول نظريتي "التأطير" و"وضع الأجندة"، لكنه ينطلق من هذا المفهوم العام في طرحهما وفي ربطهما بالسّردية المستخدمة في الإعلام الإسرائيلي والغربي المنحاز للرواية الإسرائيلية، للإضاءة على أهمية محتوى تقارير شيرين أبو عاقلة في بناء سردية مضادة تسهم في بناء وعي فلسطيني وعربي ودولي تجاه القضية الفلسطينية.

اللغة: مواجهة سياسة "كيّ الوعي"

يحدد الباحثون في علوم الاتصال والإعلام عددا من العناصر التي تشكل أساس التقارير الإخبارية، والتي من خلالها يتمّ تحديد الأجندة الإعلامية لأيّة مؤسسة ويتمّ دراسة العلاقة التكاملية المتلازمة بين المسارات السياسية و المحتوى الإعلامي. وتشكّل اللغة حجر الأساس في فهم هذه العلاقة وفي تبيان هدف الإعلام في استحضار فهم المجتمعات وتفاعلهم تجاه قضية معينة أو في تشويهها. في هذا الإطار، تؤدي المصطلحات المستخدمة في التقارير الدور الأكبر في تحديد اللغة التي

تعكس سياسة الوسيلة الإعلامية، ما يعني التأثير في الرسالة التي يريد المحتوى الإعلامي ترسيخها في أذهان الجمهور سعيا للتأثير في الوعي الجماعي عبر بناء سردية معيّنة واعتمادها.

في ستينات وسبعينيات القرن الماضي، تلقّف الاحتلال الإسرائيلي أهمية الإعلام كأداة مؤثرة بين الشعوب لنشر روايته حول احتلال فلسطين، والتي اعتمدت أساسًا على تسويق الرواية الإسرائيلية الدينية حول ملكية أرض فلسطين لليهود، في محاولة لإضفاء الشرعية على ما يسمّى قيام الدولة الإسرائيلية لدى الرأي العام العالمي. كما اعتمدت على التسويق الإعلامي لفكرة أن الاحتلال هو الضحية وأنه في موقع الدفاع عن النفس في وجه الحروب والعمليات الفدائية التي يقوم بها الفلسطينيون منذ العام 1948 حتى يومنا هذا[4]. هذه السردية الإعلامية الإسرائيلية تتماهى مع الإعلام الغربي الموالي للاحتلال الإسرائيلي، الذي يغيّب في تغطياته الوقائع حول ما يجري على الأرض من عمليات قتل وتهجير وعزل وتقسيم زماني ومكاني في فلسطين. فمنذ سنوات طويلة، يحاول الاحتلال الإسرائيلي وأدواته والدول المؤيدة له وتلك المطبّعة تسويق إطار جديد للقضية الفلسطينية يقوم على مصطلحات مثل "السلام الاقتصادي" و"تقليص الصراعات"[5] و"التسامح" وغيرها، الأمر الذي يشير لوجود رابط بين السياسات الإعلامية للرواية الفلسطينية المتزامنة مع تصعيد سياسيّ على أرض الواقع و التحولات في الوعي الجماعي والذاكرة الجماعية في استحضار الروابط التاريخية للقضية الفلسطينية.

إذا، يشكّل الإعلام الأداة الأساسية والسلاح الأخطر في توجيه الرأي العام العربي والعالمي فيما يخص الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وفي

---

[4] الحريري، ح. (2022). "مونديال قطر 2022..هل أخفق الإعلام العربي؟"، مجلة الجزيرة، معهد الجزيرة للإعلام، العدد 28، شتاء 2023، 97 ص.

[5] العطاونة، أ. (2022). "شيرين أبو عاقلة والنضال الفلسطيني اليتيم"، موقع الجزيرة، 5/19

معاناة الفلسطينيين اليومية. من هنا، تدخل اللّغة في صلب المعركة في استحضار القضية الفلسطينية، فمصطلحات مثل "الاحتلال" كمقابل لمصطلح "الجيش الإسرائيلي" تسهم في سحب الشرعية لتلك القوات، كما أن استخدام كثيرًا من وسائل الإعلام في توصيفها للأحداث على الأرض مصطلحات غير موضوعية مثل استخدام مصطلح "مواجهات" بدلا من "الاعتداءات الإسرائيلية"، يؤدي للمساواة بين الضحية والجلاد ولا يعكس حقيقة ما يجري من اعتداءات من جيش نظامي على مواطنين عُزّل. فضلا عن أن الضرورة المهنية تقتضي استخدام مصطلحات توصيفية في نقل الأخبار مثل "التقسيم الزماني والمكاني" لاقتحامات المسجد الأقصى و"تفريغ المنطقة من الفلسطينيين" و"مصادرة الأراضي" لتذكير المشاهد أو القارئ بشكل دائم حول الهدف من هذه الاقتحامات والاعتداءات، لكي تبقى وسائل الإعلام قادرة على نقل ما يجري على أرض الواقع بدقة، وأنه جزء من المخطط الإسرائيلي العام لاحتلال فلسطين والتوسّع الاستيطاني. هذا التوظيف الدقيق للغة الصحفية، بدا بارزا في تقارير شيرين أبو عاقلة أنواعها كلّها، السياسية والأمنية والعسكرية والثقافية والتراثية والاقتصادية والاجتماعية، لترسيخ جوهر القضية الفلسطينية وحقيقة الاحتلال الإسرائيلي في وعي المشاهدين.

فكيف ساهم المحتوى الذي قدّمته شيرين أبو عاقلة في مواجهة الرواية الإعلامية الإسرائيلية التي استطاعت التأثير في الرأي العام العالمي فيما يخصّ القضية الفلسطينية؟ وهل يمكن استخدامه لتشكيل رأي عام خارج حدود فلسطين حول حقيقة القضية، وحقيقة ما يتعرّض له الفلسطينيون وحقيقة الاحتلال الإسرائيلي لإعادة تكوين الوعي الجماعي حول القضية وتوجيهه؟ وهل يمكن أن يشكّل سلاحًا مضادًّا لدحض البروباغندا الإسرائيلية التي يتبناها الجزء الأكبر من الإعلام الغربي في ظلّ صمت الإعلام العربي أو بالحدّ الأدنى غياب مواجهة إعلامية عربية فعلية لها؟ هذه الأسئلة يطرحها القسم الثاني من هذا الفصل عبر تحليل المحتوى لعيّنة عشوائية من تقاريرها الميدانية.

وقبل استعراض هذه التقارير، لا بدّ من الإشارة إلى الحالة التي شكّلها اغتيال أبو عاقلة كحدث يكاد يكون فريدا من نوعه في إعادة تسليط الضوء على القضية الفلسطينية وفي خلق حالة إجماع لم تكن فقط عابرة لفلسطين وللمنطقة العربية، بل وصلت إلى معظم دول العالم. لم يقف التفاعل الجماهيري العربي والغربي عند جريمة الاغتيال بحد ذاتها ولا عند التأثر في مشهد التشييع الذي أسقط مزيدا من الأقنعة عن البروباغندا التي يحاول الاحتلال الإسرائيلي تثبيتها، بل إنه يمكن الاعتقاد بأن تزامنَ احتلالِ اسمِ شيرين أبو عاقلة عناوينَ الأخبار حول العالم بعد استشهادها، قد زاد من شهرة تقاريرها لدى فئات الجمهور التي لم تكن على تماس أو معرفة بحقيقة الاحتلال وحجم جرائمه في فلسطين، نتيجة التعتيم الإعلامي الممنهج الذي يتمّ ممارسته على مدى سنين طويلة. من هنا، فإن تحليل محتوى عيّنة عشوائية من تقارير أبو عاقلة، من منطلق القضايا التي تعالجها من خلالها، يساعد في تقديم نموذج للكيفية التي يمكن فيها للصحفيين إنتاج تقرير إخباريّ موضوعي حول القضية الفلسطينية، ويسهم في نشر الحقائق المتعلقة بالأحداث التي تجري هناك في ظل الاحتلال الإسرائيلي. أيضا، يسلّط تحليل هذا المحتوى نموذجًا عمليا في الربط بين الأنثروبولوجيا اللغوية ودورها في الهيمنة الإعلامية للاحتلال حول القضية الفلسطينية.

ولا يقتصر الأمر على تحليل اللغة نصًّا، بل أيضا الأداء الذي قدمت به شيرين أبو عاقلة تقاريرها، والذي جعلها حالة صحفية مؤثرة. إذ اتسمت تقاريرها بعددٍ من الصفات أبرزها: الصوت الهادئ والابتعاد عن الانفعال والتكلّف، تبسيط المعلومة وإيصالها بطريقة سلسة إلى الجمهور، الدقة والموضوعية في نقل المعلومة وفي تقديم المعلومات الموثقة دون إدخال رأيها الشخصي أو المؤثرات العاطفية التي تثلب في موضوعية التقرير، على الرغم من كونها مَعنيّة كفلسطينية بشكل مباشر في القضية، واهتمامها بالتفاصيل التي تبرز معاناة الإنسان الفلسطيني وتعكسها.

ا.ا. التقارير

يعرض هذا القسم تحليلا لمحتوى عيّنة عشوائية من تقارير شيرين أبو عاقلة بين الأعوام 2008 و2022.

وتكمن أهمية هذه التقارير في أنها تشكّل دراسة مقارنة يمكن إلحاقها كمادة لتوثيق انتهاكات إسرائيل وأدلة تشير إلى خروقاتها المتعددة للقانون الدولي، وللميثاق العالمي لحقوق الإنسان. كما تبيّن الخرق الممنهج للاحتلال الإسرائيلي لكلّ الاتفاقيات والمعاهدات التي تمّ اعتمادها لاحقا من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة مثل: اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية (1948) ومعاقبتها، الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (1965)، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (1966)، العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (1966)، اتفاقية حقوق الطفل (1989)، ومعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية الشامل (1996).

بحسب الأمم المتحدة، يشمل القانون الإنساني الدولي المبادئ والقواعد التي تنظّم وسائل وأساليب الحرب، فضلا عن توفير الحماية الإنسانية للسكان المدنيين، والمقاتلين المرضى والجرحى، وأسرى الحرب بالإضافة إلى اتفاقية جنيف للعام 1949 بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب"[6].

يبيّن المحتوى المرصود أن المواضيع والقضايا التي عالجتها شيرين في التغطيات اليومية تتلخص في التالي: سياسة الاستيطان، الأسرى، الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، الاستيلاء على الموارد

[6] موقع الأمم المتحدة www.un.org

الطبيعية، الفصل العنصري، سياسة العزل، الاقتحامات والاعتداءات على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، التقسيم الزماني والمكاني، سياسة العزل المناطقي والطائفي، القتل المتعمّد للمدنيين، وبناء الجدار العازل وسياسة هدم المنازل الفلسطينية. ومن خلال تحليل المحتوى لجهة المصطلحات المستخدمة، (المعلومات والوقائع، الربط بين الانتهاكات وسياسة الاحتلال الإسرائيلي، المادة التصويرية، والمقابلات)، يمكن ربط المحتوى الذي قدمته لإثبات الانتهاك المتعمّد للاحتلال الإسرائيلي لكلّ الاتفاقيات والمعاهدات والقانون الدولي واستخدامه كمادة إعلامية توثيقية لاستحضار القضية الفلسطينية دون أي تدخّل أو انحياز شخصيّ.

يقدّم هذا الفصل تحليلا مفصّلا للمحتوى من خلال نقطتين مترابطتين؛ أولا، استخلاص القضايا والمحاور التي أضاءت عليها أبو عاقلة في تقاريرها. وثانيا، عرض العناصر الصحفية والقيم المهنية التي ارتكزت عليها في استحضار القضية الفلسطينية في التقارير وتحليلها.

1. استحضار القضية الفلسطينية من خلال حرية العبادة أو ممارسة الشعائر الدينية

أدّت تغطية شيرين أبو عاقلة لاقتحامات المسجد الأقصى لمنع وصول المسلمين للصلاة فيه ولإجراءات التضييق على المسيحيين في القدس دورا في الإضاءة على انتهاك الاحتلال الإسرائيلي لحرية العبادة أو حرية ممارسة الشعائر الدينية في فلسطين. تحت هذا العنوان، سلّطت أبو عاقلة الضوء على أهداف الاحتلال الإسرائيلي جراء هذه الإجراءات ولا سيما فيما يتعلّق بتفريغ القدس من المسيحيين وبالتقسيم الزماني والمكاني فيما يخص المسجد الأقصى.

على سبيل المثال، حول تفريغ القدس من المسيحيين، اكتفت في تقرير تحت عنوان "القيود على المسيحيين الفلسطينيين في أسبوع الآلام" في العام 2014 بمقارنة عدد المسيحيين الذين يعيشون في البلدة القديمة في العام 2014 – تاريخ إعداد التقرير- بعددهم قبل النكبة. قالت في تقريرها: **"يعيش اليوم نحو أحد عشر ألف فلسطينيّ مسيحيّ من أصل نحو ثلاثين ألفا كانوا يعيشون فيها قبل عام النكبة".** (أيضا مثال تقرير "بفعل ممارسات الاحتلال...تراجع نسبة المسيحيين في فلسطين" في العام 2015 وتقرير "منذ النكبة...تراجع أعداد المسيحيين الفلسطينيين بفعل الاحتلال" في العام 2014).

على صعيد الأداء المهني، حافظت على حياديتها وموضوعيتها في إعلام الرأي العام بأن ثمّة مخططا لتفريغ القدس من مسيحييها، وعمدت إلى تمرير هذه الفكرة من خلال الأرقام ما جعل القارئ أو المشاهد يتنبّه إلى استمرار عملية النقص المتصاعد في عدد المسيحيين في البلدة القديمة في القدس.

ولعلّ أكثر ما يلفت هو الإشارة إلى الربط بين الهوية الوطنية ووجود المسيحيين على أرضهم. ففي مقابلة في التقرير نفسه مع سيدة فلسطينية، يتبيّن كيف يقارن المسيحيّون في القدس "مراحل آلام السيد المسيح بنكبة فلسطين منذ العام 1948 ثم اللجوء فالنكسة والاستيطان".

ومن تفريغ القدس من مسيحييها إلى منع المسلمين من الدخول إلى المسجد الأقصى والصلاة، أضاءت أبو عاقلة على جوانب عدة من القضية الفلسطينية توّثق انتهاك الاحتلال للقوانين والمواثيق الدولية مثل العزل وانتهاك الحق في حرية التنقل. فالإجراءات المتكرّرة والمتصاعدة لقوات الاحتلال ضدّ المسلمين كعدم السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، تماما كالتضييق على المسيحيين، يشكّلان جزءا لا

يتجزأ من مشروع الاحتلال لتهويد القدس ولتفريغها من الفلسطينيين كإجراء لتثبيت رقعة الاستيطان اليهودي فيه وتوسيعه، إذ يعتبر كلّ من المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ركنا أساسيا للهوية وللقضية الفلسطينية.

تمنع سلطات الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين من خارج القدس من دخول المدينة بفعل الحصار المفروض عليها. أما عن الصلاة في المسجد الأقصى، فهو مسموح به مرة في العام ولكن مع شروط إضافية يضعها الاحتلال. هذا الواقع عكسته المشاهد التوثيقية لانتشار قوات الاحتلال الاسرائيلية والحواجز في القدس والمعابر لعرقلة وصول الفلسطينيين المسلمين إلى المسجد الأقصى. على سبيل المثال، في تقريرها بعنوان "مواجهات بمحيط المسجد الأقصى" في العام 2014 و"في الجمعة الثالثة من رمضان...إسرائيل تغلق أبواب القدس أمام المصلين" في العام 2011، وثّقت شيرين أبو عاقلة مشاهد الفلسطينيين المنتظرين على حواجز الاحتلال على مدخل المسجد الأقصى لعدة ساعات، في توثيق لسياسة الفصل والعزل ضدّ الفلسطينيين: **"كان آلاف الفلسطينيين ينتظرون دورهم في الدخول إلى المدينة لأداء الصلاة في المسجد الأقصى. يوم ينتظرونه طوال العام على الرغم من القيود والحصار الذي يقف عائقا بين سكان الضفة الغربية والقدس."** (تقرير: عراقيل الاحتلال تنغص على الفلسطينيين صلاتهم في الأقصى، 2009).

هذه الإجراءات المستمرة غالبا ما تؤدي إلى مواجهات بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال. عملت شيرين من خلال نقل هذه المشاهد على دحض الرواية الإسرائيلية حول ما يدّعون أنه "أعمال شغب ضدّ الإسرائيليين". بالصوت وبالصورة، بعد أن كانت توثق اعتداءات قوات الاحتلال المتكررة بقنابل الغاز والقنابل الصوتية والرصاص المطاطي وأحيانا الرصاص الحي ضد الفلسطينيين شبابا وشيبانًا وأطفالا ونساءً.

واحدة من المعضلات الأخلاقية الأكثر نقاشا بين الصحفيين والباحثين في الإعلام هي موقف الصحفي من القضايا التي يغطيها، فبين من يرى أن مهمة الصحفي الأساسية هي نقل الحقيقة بدقة وبمسؤولية. وبين من يرى أنه تقع على عاتق الصحفي، ضمن مسؤوليته المجتمعية، مهمة تقديم المعلومة بما يُعرَف "بالحقيقة الشاملة" حيث يشرح الصحفي بموضوعية ومهنية السياق الزمني والمكاني والرمزي للمعلومة[7] ولا يكتفي فقط بإيرادها مجردة.

لعبت شيرين أبو عاقلة بمهنية وبحرفية هذا الدور. ففي تقاريرها، تربط بين إجراءات قوات الاحتلال في منع دخول الفلسطينيين إلى القدس والمصلين إلى المسجد الأقصى، و الوتيرة المتصاعدة لاقتحامات مجموعات يمينيّة متطرفة (مثل جماعة "جبل الهيكل") إلى البلدة القديمة وتحديدا باحات المسجد الأقصى وحائط البراق أو ما يسمّيه الإسرائيليّون "حائط المبكى". (راجع تقرير: إسرائيل ومجموعات متطرفة تقتحم ساحات المسجد الأقصى- 2014).

ولفهم الترابط بين الحادثتين وسياقه في الصراع العربي الإسرائيلي وتحديدا ضمن سياسة الاحتلال لضرب القضية الفلسطينية، حرصت على الحديث عن الإجراءات والاقتحامات لأنها خطوة أساسية على **"أجندة تلك المجموعات لتعزيز السيطرة الإسرائيلية الكاملة على المسجد الأقصى والسماح لليهود للدخول والصلاة فيه دون قيود"، فإسرائيل تحاول تكريس واقع يناقض الوضع التاريخي القائم في الأقصى، عبر جعل القدس، كمدينة معزولة مع الحدّ الأدنى من الوجود الفلسطينيّ والأقصى للوجود اليهوديّ".**

هذا الواقع يجعل تلك الزيارة الوحيدة التي يُسمح بها لفلسطينيي

[7] Ward, S.J.A. (2005). The Invention of journalism ethics: The long path to objectivity and beyond. Montreal: McGill-Queen's University Press.

الضفة من دخول القدس، أي في رمضان، رحلة شاقة **"تبدأ بعد السحور مباشرة لاجتياز الحواجز المتعددة"**. غير أن الأقسى، كان الإشارة إلى أن بعض من يدخل المدينة **"لم يصلّ في المسجد الأقصى منذ سنوات طويلة، بفعل الحصار على القدس"**.

2. استحضار القضية الفلسطينية من خلال تغطية الاستيطان

في استحضار القضية الفلسطينية، لا بدّ من التوقف عند مشاريع الاحتلال الاستيطانية التي تخالف القانون الدولي والتي يحاول الاحتلال في روايته تجاهلها في سياق تلميع صورته أمام الرأي العام الدولي.

سلّطت أبو عاقلة الضوء على هذه الانتهاكات من جوانب عدّة كجزء من مهمتها الصحفية لنقل معاناة الشعب الفلسطيني حفاظا على القضية الفلسطينية، من خلال التّركيز في تغطية المشاريع الاستيطانية على عناصر عدة مترابطة لنقل الواقع بشكل علميّ ودقيق. العنصر الأول الذي اعتمدت عليه هو توثيق في كل تقرير عدد المشاريع والبؤر الاستيطانية التي يبنيها الاحتلال ومقارنتها بالسنوات التي سبقتها وفي تقديم خريطة مفصّلة عن التوزيع الجغرافي لتلك المستوطنات. فعلى سبيل المثال، قدّمت في تقرير لها بعنوان "المساحات الشاسعة للمستوطنات في الضفة الغربية" في العام 2011 عدد المستوطنات التي بناها الاحتلال والتي تتوزع في الضفة الغربية وفي القدس (تقدّر بحوالي 179 مستوطنة آنذاك) وقارنتها مع عدد البؤر الاستيطانية التي أقامتها إسرائيل منذ العام 2001 (والتي قدّرت بنحو 143 بؤرة استيطانية) وقبلها في البلدة القديمة في القدس منذ ثمانينيات القرن الماضي **"حيث استولت إسرائيل على عشرات العقارات العربية بحجّة ملكيتها ليهود قبل عام ثمانية وأربعين، أو بادعاء شرائها بأساليب الاحتيال كما حدث في مرات قليلة"** كما جاء في تقريرها بعنوان "تصاعد نشاطات المنظمات الاستيطانية في القدس المحتلة" في العام 2009.

إلا أن الأبرز هو تسليط الضوء على الهدف من هذه البؤر والتي تتمثل في عزل المناطق الفلسطينية إذ تعمل **"العشرات منها بمثابة "كوريدورات" تربط المستوطنات وتسيطر على أكثر المناطق حيوية، أهمها مصادر المياه والأراضي الزراعية والقدس والأغوار".** هنا، ذكرت أبو عاقلة أكثر من مرة عن ضرورة التنبّه إلى أن **"خطر المستوطنات لا يقاس بالمساحات التي تصادرها فحسب، وإنما بمشاريع البنى التّحتيّة والطرق الالتفافية التي تربطها".** هذا التفصيل لا يحضر في كل محتوى من باب الصدفة، بل هو يسمح للرأي العام ببناء صورة واضحة وكافية عن خطورة هذا المشروع **"غير العشوائي"** كما وصفته، والذي "لم يكن كذلك في يوم من الأيام" بل إن **"كل مستوطنة تخدم هدفا استراتيجيا لإسرائيل، وتصادر قطعة من الحلم الفلسطينيّ".** إذا، هذا التركيز المتعمّد على الاستيطان المستمرّ والمتصاعد يدحض بالدرجة الأولى الادعاء الإسرائيلي بتبنّي حلّ الدولتين ويعيد التذكير بحقيقة الاحتلال في فلسطين الذي لا يحترم القرارات الدولية ومناشدات ما يعرف بمؤسسات المجتمع الدولي لوقف الاستيطان غير الشرعي. ولعلّ الإشارة الأبرز حول التفاف الاحتلال على القانون الدولي كانت في عرض إستراتيجيته في البناء حيث **"اتخذ البناء الاستيطاني منحىً متسارعًا منذ العام 2007، وبينما أعلنت إسرائيل عن تجميد جزئي له في العام 2009، فقد عاد بوتيرة أكثر تسارعا منذ نهاية أيلول الماضي حيث صادقت إسرائيل منذ ذلك الوقت على بناء 13 ألف وحدة استيطانية، فيما وصل عدد المستوطنين إلى نحو 600 ألف مستوطن، يعيش أكثر من ثلثهم في القدس وحدها."** (تقرير المساحات الشاسعة للمستوطنات في الضفة الغربية، 2011).

في جملة واحدة تذكّر بها الرأي العام، اختصرت أبو عاقلة المشروع الإسرائيلي بوصف المستوطنات أنها **"تصادر قطعة من الحلم الفلسطيني. حلم تريد أن تختزله إسرائيل من دولة إلى اثنتي عشر كانتونا أو تجمعا فلسطينيا تعيش بمعزل عن بعضها البعض".**

تؤدي المقابلات مع جهات معنية في المواضيع التي تعالجها التقارير الصحفية دورا محوريًا كمصدر لإضفاء المصداقية على المعلومات التي يقدّمها التقرير. فالمقابلات قد تكون مع أناس عايشوا واقعا معيّنا لتقريب الصورة للمشاهد، أو مؤسسات وجهات حكومية وغير حكومية كمصدر لتوضيح وشرح وإضافة معلومات. في هذا الإطار، حرصت أبو عاقلة على إجراء مقابلات ممثّلين لمؤسسات أوروبية وأخرى يهودية تعارض الاستيطان الإسرائيلي لإضافة معلومات مفصّلة إضافية لاكتمال عناصر التوثيق. وقد يكون اختيار هوية الأشخاص الذين تمّت معهم المقابلات، كما في حالة الاستيطان لجهة اختيار جهات دولية ويهودية مقصودا لعدة جوانب لا سيما للفت انتباه الرأي العام العالمي لحقيقة ما يحدث في فلسطين وبالتالي لاستحضار القضية الفلسطينية في المحافل الدولية كقضية حقوق إنسان بطريقة مهنية وبموضوعية.

كما تمّت الإشارة سابقا، من المعترف به أن القصص الإنسانية تشكل عاملا أو عنصرا مؤثرا لبناء رأي عام أو للتأثير تجاه قضية ما في القضية الفلسطينية، غالبا ما تغيّب المعاناة الإنسانية من الأجندة الإعلامية

الغربية التي تعرف بانحيازها للاحتلال الإسرائيلي انطلاقا من قوة اللوبي الصهيوني الذي استطاع تثبيت سرديته بشكل كبير. من هنا، تشكّل القصة الإنسانية أيضا عنصرا أساسيا في تقارير شيرين أبو عاقلة عن معاناتهم من الاستيطان والتي نقلتها بمسؤولية ومهنية حفاظا على كرامة الناس أولا دون استغلالهم للتأثير إعلاميا.

فالمواطن الفلسطيني هو الضحية الأولى للمشاريع الاستيطانية التي غالبا ما تكون على أنقاض المنازل الفلسطينية المهدّمة وعلى الأراضي الفلسطينية المسروقة. شاركت الناس معاناتهم في تقاريرها، وحملتها إلى العالم لمشاهدتها ولكشف جرائم الاحتلال في فلسطين الذي لا يحترم أبسط حقوق الإنسان كالحق في العيش الكريم والعيش بأمان. هذا ما كشفته بالصوت وبالصورة، في المعلومات والوثائق، ومن خلال رواية قصة معاناة الأهالي في فلسطين بعيونهم وبلسانهم. وعكست المقابلات التي أجرتها مع الأهالي رصانتها ومهنيتها في نقل معاناتهم، إذ تخلو تقاريرها كلها من استغلال الوضع الصعب الذي يعيشه أهالي المنازل المهددة بالهدم أو المهدمة، وتلك التي تتعرض باستمرار لاقتحامات المستوطنين بحماية قوات الاحتلال كجزء لا يتجزأ من تطبيق السياسة الاستيطانية. بهدوء، نقل الأهالي معاناتهم بكاميرا شيرين، بحيث وصفوا ما تعرضوا له من مضايقات وتهجير وتشريد. ولعلّ أبرز ما يميّز هذا المحتوى في نقل معاناة الناس، هو معايشتها معهم ونقلها مباشرة بالصوت والصورة. فعلى سبيل المثال، في تقريرها بعنوان "الاحتلال الإسرائيلي يجلي أكثر من 100 فلسطيني عن بيوتهم" في العام 2018، وثّقت منذ ساعات الفجر الأولى أي منذ الساعة السادسة صباحا في منطقة الأغوار معاناة **"ستة عشر عائلة فلسطينية استيقظت قبل طلوع النهار تنفيذا لأوامر جيش الاحتلال بإخلاء بيوتها ابتداء من السادسة صباحا وحتى الثامنة مساء"** لتكون شاهدة وتُشهد معها العالم كيف تجبر قوات الاحتلال سكان المنطقة على إخلاء بيوتهم بذريعة إجراء تدريبات عسكرية فيها. تتعدّد خروقات

الاحتلال للقانون الدولي في هذا المحتوى، مثل الحقّ في العيش بأمان وحريّة وكرامة، حريّة التنقل، وأيضا حقوق الطفل وذلك من خلال عرض مشهد لطفل فلسطيني ينظر بخلسة خلف جدار مثقوب، وفي الإشارة إلى ملاحقة "الأمن الإسرائيليّ ليتأكّد من أن أحدا منها لم يبق في بيته، وتجلس النساء والأطفال ساعات طوال في العراء". (تقرير الاحتلال الإسرائيلي يجلي أكثر من 100 فلسطيني عن بيوتهم، 2018).

3. استحضار القضية الفلسطينية من خلال انتهاك الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

لا يمكن الحديث عن مخطط الاحتلال الإسرائيلي لتهجير وتشريد الفلسطينيين من بيوتهم دون التطرق إلى سياسة عزل المناطق والقرى الفلسطينية التي تطبقها قوات الاحتلال وما تتضمّنه من انتهاكات للحقوق الاقتصادية والاجتماعية. هذه العناوين، شكّلت بدورها جوانب هامة في عمل شيرين أبو عاقلة لكشف جرائم الاحتلال ونقل الواقع

الفلسطيني في محاولة لمواجهة الدعاية التي تحاول طمس القضية عبر تشويهها وضربها.

لا ينقل الإعلام الغربي الانتهاكات المستمرة لسلطات الاحتلال الإسرائيلي وقواته للحقوق الاقتصادية والاجتماعية للفلسطينيين. هذه الانتهاكات تأخذ أشكالا عدة مثل تأثير إغلاق المعابر التجارية (غزة نموذجا) على الاحتياجات الاقتصادية الأساسية، تأثير بناء الجدار العازل والمستوطنات على الفلسطينيين في الاقتصاد من حيث التفتيت الجغرافي والاقتصادي ومصادرة على الأراضي الزراعية الفلسطينية والاستيلاء عليها، السيطرة على الموارد الطبيعية الفلسطينية واستغلالها، فرض العملة الإسرائيلية في كافة أنحاء فلسطين، ومنع تطوير البنى التحتية وتدميرها، وغيرها.

في نقلها للمعاناة الإنسانية اليومية للشعب الفلسطيني، تناولت أبو عاقلة هذه الانتهاكات الإسرائيلية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية من قبل سلطات الاحتلال والمستوطنين على حدّ سواء. أفردت مساحة لمصادرة قوات الاحتلال بشكل خاصّ للأراضي الزراعية ولحرمان الفلسطينيين من الموارد الطبيعية كالمياه، ما يخالف القانون الدولي وشرعة حقوق الإنسان. وعرضت شيرين أبو عاقلة أمثلة عن الإخطارات التي يتبلّغها أصحاب الأراضي والمزارعون الفلسطينيون لإخلاء الأراضي. وتكمن أهمية هذا الرصد في الربط الذي تقوم به ضمن سياق سياسة الاحتلال الإسرائيلي في التضييق على الفلسطينيين والاعتداء عليهم في كافة تفاصيل حياتهم وعلى مواردهم كما جاء في تقريرها بعنوان "قوات الاحتلال تطالب مزارعين فلسطينيين بإخلاء أراض" في العام 2012. وما يلفت الاهتمام في هذ التقرير ليس فقط خرق الاحتلال للقانون الدولي عبر مصادرة الأراضي الزراعية والاستيلاء عليها، بل أيضا في تدمير الموارد الطبيعية للفلسطينيين والتي تشكّل مورد رزق لهم فعلى سبيل المثال لا الحصر محاولة تدمير تجارة التمر الفلسطينيّ

والذي يعدّ من أهم السلع التي تصدّر إلى الأسواق العربية والخليجية بشكل خاص. في هذا الإطار، لا تقف سياسة الاحتلال عند حدّ **"تفريغ الأرض وعملية التطهير العرقي"** التي تمارسها، بل أيضا ما يرافق هذه الانتهاكات من حملات متكررة ومتعمّدة **"لهدم آبار المياه والبيوت البلاستيكية، وحتى البركسات في مناطق الأغوار.. واقع من شأنه أن يسقط عن الاحتلال قناع السلام الذي يحاول تسويقه أمام الرأي العام العالمي، بينما هو يحارب الفلسطينيّ في زراعته وأرضه ومائه واقتصاده".**

ويشكّل قطع المياه عن المناطق والقرى الفلسطينية جانبا آخر من الانتهاكات الإسرائيلية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والذي تناولته أيضا أبو عاقلة بشكل مكثّف. ويعتبر مخيّم شعفاط في مدينة القدس نموذجا عن المعاناة الفلسطينية من نقص المياه. ينقل تقرير بعنوان "معاناة الفلسطينيين بالقدس الشرقية من انقطاع المياه" في العام 2014 معاناة الأهالي من انقطاع المياه بفعل قطع الشركات الإسرائيلية للمياه وبفعل منع سلطات الاحتلال لتطوير البنى التحتية في خرق للاتفاقية التي أبرمتها الحكومة الأردنية في العام 1951 بمدّ المياه لسكان المخيّم مجانا. هنا، تعمّدت المقارنة بين أوضاع الفلسطينيين

ومناطق المستوطنين التي تحيط بهم والتي تتمتع الخدمات والبنى التحتية المتطورة كلّها، وذلك للإضاءة على سياسة الفصل العنصري التي تمارسها سلطات الاحتلال في انتهاك واضح للقانون الدولي الذي يحظر الفصل العنصري بموجب اتفاقيات جنيف الملزمة وتحديدا المادة 85 (4) التي تُصنّف "ممارسة التفرقة العنصرية وغيرها من الأساليب المبنية على التمييز العنصري والمنافية للإنسانية والمهينة، والتي من شأنها النيل من الكرامة الشخصية" كخروقات جسيمة والمادة 3 من الاتفاقية الدولية للقضاء على "جميع أشكال الفصل العنصري" والذي يتضمن جميع الأشخاص الذين ينتمون إلى أعراق مختلفة أو مجموعات وطنية أو إثنية مختلفة أو إلى سكان أصليين"[8].

يطرح التقرير النقاش حول واقع المخيّم الصعب بفعل الجدار العازل.

فالرابط بين غياب خدمات البنى التحتية والجدار هو تكريس سياسة العزل التي من خلالها **"تقلّص إسرائيل نسبة السكان العرب في المدينة وتتخلص من عبء الخدمات المقدمة لهم، ويبقى الفلسطينيّ هنا وحيدا في منطقة لا تخضع لسيطرة السلطة الفلسطينية وتكتفي إسرائيل بسيطرة أمنية عليها".**

[8] مجلس حقوق الانسان، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2014.

4. استحضار القضية الفلسطينية من خلال سياسة الهدم والعزل

لا تكتمل سياسة الفصل العنصري على أجندة الاحتلال والتي تهدف إلى تهجير الفلسطينيين من أرضهم مقابل توسيع رقعة الاستيطان دون هدم المنازل ومنع تراخيص البناء. هذا الجانب من القضية برز أيضا في تقارير أبو عاقلة عن مناطق عدة في الضفة الغربية في فلسطين.

تهدف عملية الهدم إلى توسيع البقعة والبؤر الاستيطانية وإلى استكمال عملية تفريغ الفلسطينيين في مقابل زيادة عدد المستوطنين وهو ما هو يخالف القانون الدولي. فعلى سبيل المثال، شرحت أبو عاقلة في تقرير لها بعنوان "إسرائيل تقرر هدم ثماني خرب فلسطينية جنوبي الخليل" في العام 2012 نموذجا عن أهداف هذه السياسة. يحكي هذا التقرير معاناة ثماني خِرب صغيرة جنوبي مدينة الخليل **"تفتقر إلى أبسط مظاهر الحضارة، ويربطها طريق وحيد وعر يمتدّ عدة كيلومترات يوصل إليها، لا تسلكه في العادة إلا التراكتورات"** بفعل منع سلطات الاحتلال تطوير البنية التحتية فيها. اللافت في هذا النموذج الإضاءة على نقطتين أساسيتين وهما: غياب الاهتمام بهذه الخِرب إذ **"لا أحد يلتفت إلى تلك الخرب باستثناء إسرائيل التي قررت هدمها وإخراج سكانها الفلسطينيين، الممنوعين أصلا من البناء".** أما النقطة الثانية، فهي سياسة الاحتلال في تفريغ المناطق الفلسطينية من سكانها بحيث أشارت أبو عاقلة إلى أن معظم هذه الخرب يقع نصفها ضمن الأراضي المحتلة عام سبعة وستين، **"والجزء المتبقي من الخربة يقع ضمن أراضي عام ثمانية وأربعين. منطقة حدودية هي إذا، مع مساحات شاسعة من الأرض، تريدها إسرائيل ولكن، دون سكان فلسطينيين".** هؤلاء السكان، يشكلون **"شوكة في حلقة إسرائيل، لو تمكنت من طردهم، ستؤمن لنفسها شريطا حدوديا بين الخط الأخضر وجنوب الضفة الغربية".**

في تقرير آخر بعنوان "إسرائيل تواصل عمليات هدم منازل الفلسطينيين" في العام 2012، كان لافتا استحضار قضية الناشطة الأميركية راشيل كوري التي قتلتها الجرافات الإسرائيلية عندما كانت تحتجّ **"على سياسة هدم المنازل الفلسطينية في منطقة رفح في قطاع غزة"** بحيث فشل القانون في محاسبة إسرائيل. استحضار ربطته أبو عاقلة بسياسة الاحتلال التي تقوم على **"تبرئة جنودها ما دامت الضحايا من فلسطين أو من أصدقائها وداعميها"** ويكشف عجز القانون الدولي عن حماية الفلسطينيين وبالتالي عن منع الانتهاكات الإسرائيلية ومناصرة القضية الفلسطينية في ظل التعتيم الإعلامي الغربي وسيطرة الرواية الإسرائيلية.

ولعلّ أهمّ ما يمكن رصده في هذه التقارير التي تناولت سياسة الهدم والعزل هو الفصل العنصري وعزل العائلات الفلسطينية عن بعضها بعضًا حتى ضمن القرية الواحدة، وهو واقع لا يعرفه كثيرون خارج فلسطين. فعلى سبيل المثال، تناول تقرير بعنوان "الجزيرة ترصد معاناة إحدى العوائل الفلسطينية مع الجدار" في العام 2009 قصة عائلة دوريش التي كانت تعيش في منطقة تقع ضمن نطاق بلدية بيت لحم. إلا أن سلطات الاحتلال، وخلافا لكلّ الأعراف والقوانين حتى تلك التي تتحدّث عن السياسات الاحتلالية، قرّرت عزل منزل هذه العائلة وإلحاقه بمدينة القدس. عمليّا، يظهر هذا التقرير عمليّة عزل ومحاصرة تامّة عاشتها هذه العائلة. فهي من جهة، لم يعد أفرادها يتمتعون بحرية التنقل في بيت لحم وأيضا لا يستطيعون الدخول إلى القدس بفعل الحصار الإسرائيلي على المدينة إلا بتصريح إسرائيليّ وهو ما رفضه الاحتلال. هذا الحصار أرخى بظلاله أيضا على جوانب عدة. مثل الحقّ في التعليم بحيث اضطرت ابنة صاحب المنزل إلى ترك جامعتها لعدم إمكانية الوصول إليها. مرة جديدة، يظهر الفصل العنصري بوضوح: **"إلى الشمال يتوسّع الاستيطان ويبني الإسرائيليون مزيدا من البيوت لهم على أراضي الفلسطينيين، وعلى مسافة قريبة، يرسم ذاك الجدار حدود النهاية بالنسبة للمواطنين الفلسطينيين، وما بينهما تضيع حياة أسرة ذنبها ألاّ مكان لها على خرائط أو مخططات الإسرائيليين".**

ولا يقتصر الفصل العنصري على الأحياء فقط، بل أيضا على الأموات. ففي منطقة في القدس الشرقية، عزلت سلطات الاحتلال المنطقة عن باقي القدس من خلال بناء الجدار العازل على أراضي القرية. وبفعل هذا القرار، روى أحد أصحاب المنازل كيف أن الجدار عزل بيته عن مكان دفن عائلته. (راجع تقرير "الجدار الفاصل في القدس...يعزل منزل عائلة فلسطينية بالكامل عن باقي القرية").

5. استحضار القضية الفلسطينية من خلال الحق في التعليم وحقوق الطفل

سياسة العزل والفصل العنصري التي يطبّقها الاحتلال الإسرائيلي تنتهك أيضا حقوق الطفل في فلسطين والحقّ في التعليم وفي التنقل بحرية. ففي عدد من تقاريرها، سلّطت أبو عاقلة الضوء على معاناة الطلبة الفلسطينيين الذين يضطرون بفعل الجدار العازل أن يسلكوا طرقا وعرة تقودهم إلى مدارسهم وأن يعبروا الحواجز العسكرية التي تفصل مدارسهم عن قراهم. (على سبيل المثال تقرير "قرية النعمان... بين منع البناء وهدم المنازل" في العام 2010 وتقرير "الاحتلال يفرض إجراءات تفتيش متشددة على الخليل" في العام 2017).

يجنّب القانون الدولي في الحروب المدنيين من أي اعتداء لا سيما الأطفال والنساء وذوي الاحتياجات الخاصة. فاتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل لعام 1989 تنصّ بشكل واضح على حق الطفل "في المساواة، والصحة، والتعليم، والبيئة النظيفة، ومكان آمن للعيش والحماية من جميع أنواع الأذى"[9]. ينتهك الاحتلال الإسرائيلي حقوق الطفل في فلسطين، ليس فقط في تعرّض الأطفال للإرهاب والترهيب في الحروب وفي النماذج التي تمّ عرضها عمّا يتعرّض له الأطفال في عمليات الهدم والعزل، ولكن أيضا في الحق في التعليم. فالطفل في فلسطين يحتاج لتصريح إسرائيليّ لكيّ يدخل مدرسته أو روضته، ولكي يغادرها أيضا بسلام مفترض تخترقه الحواجز العسكرية وبنادق جنود الاحتلال الموجهة تجاههم. تعدّ روضة الأطفال في القدس واحدة من الأمثلة التي تعكس معاناة الأطفال الفلسطينيين في الحق في التعليم وفي العيش وفي التنقل بأمان. تظهر بشاعة الاحتلال بترسانتهم العسكرية في وجه **"ضحكات وألعاب هي كلّ ما يشغل الأطفال فيها"**. بنَتْ قوات الاحتلال جدارًا بات يفصل بين الروضة وبين

[9] معاهدة الأمم المتحدة 1989

منازل الأطفال. ولم يقتصر الأمر على السور فقط، بل يجري تحديد أوقات الدخول والخروج من المدرسة وإليها لتتحوّل حياة الأطفال أشبه بثكنة عسكريّة. **"الساعة الثانية عشر ظهرا، يسرع الأطفال إلى البوابة الحديدية حيث ينتظرهم جنود إسرائيليون. ببراءتهم وعفويتهم، لن يدركوا أنهم على وشك أن يقطعوا حدودا رسمتها إسرائيل بين القدس وبين بلدتهم العيزريّة الواقعة شرقيّها".** (تقرير: القدس والجدار العازل .. روضة للأطفال في ظل الاحتلال، 2009).

هذه القصص عن معاناة الطلاب والأطفال تصرّ أبو عاقلة بمهنية عالية على ربطها بالقضية الأساس، وهي التضييق والهدم والعزل والتهجير لتفريغ المناطق والقرى الفلسطينية من ناسها في مقابل توسيع بناء المشاريع والبؤر الاستيطانية.

هذا الرابط يحضر في تقارير عن الهدم والعزل بحق المواطنين الفلسطينيين كلّها (مثلا تقارير: "إسرائيل تسلم إخطارات بهدم مساكنهم ببلدة سلوان" في العام 2014، و"إسرائيل تقرر هدم ثماني خِرب فلسطينية جنوبي الخليل" في العام 2012، و"وقائع جديدة على

الأرض... الاستيطان يلتهم القدس المحتلة" في العام 2011 و"اعتقالات متكررة في قرية عورتا الفلسطينية" في العام 2011). ولعلّ القضية الأبرز والأحدث في عملية التهجير وطرد الفلسطينيين من منازلهم للاستيلاء عليها، هي قضية الشيخ جرّاح في القدس، حيث وثّقت أبو عاقلة المضايقات والتهديدات الإسرائيلية كما جاء على سبيل المثال في تقريرها بعنوان "سلطات الاحتلال تواصل التضييق على سكان حيّ الشيخ جرّاح في القدس" في العام 2022 والتي ساهم الإعلام في حشد التأييد الشعبي العالمي لها كما نقلت في تقرير "تضامن واسع مع العائلات المهددة بالإخلاء في حيّ الشيخ جرّاح" في العام 2022. ففي فلسطين، وبحماية من قوات الاحتلال ضمن سياسة تفريغ القدس من الفلسطينيين، يقوم المستوطنون بمهاجمة المنازل الفلسطينية بذريعة أنها تعود لأجدادهم وباقتحامها. (راجع تقرير "تصاعد نشاطات المنظمات الاستيطانية في القدس المحتلة" في العام 2009). يظهر نموذج حيّ الشيخ جرّاح التناقض بين مشاهد جنود الاحتلال المدجّجين "بكامل عتادهم وأسلحتهم" و أصحاب الأرض الذين "يرفضون الاقتلاع أو الترحيل أو أيّة تسوية مع المحاكم الإسرائيلية، تبقيهم في بيوتهم سنوات محددة مقابل الإقرار بملكية المستوطنين للأرض". (تقرير "كاميرا الجزيرة توثّق اعتداءات المستوطنين الإسرائيليين على الفلسطينيين" في العام 2022). فهذا التناقض هو مثال بسيط يختصر تمسّك الشعب الفلسطيني بأرضه ووجوده في فلسطين في مواجهة الاعتداءات بالسلاح وبالقوة وبالتلاعب بالقوانين التي تكرّس الفصل العنصري، ويعكس ضعف المجتمع الدولي في الحدّ من الانتهاكات الإسرائيلية.

أما الانتهاك الأبرز الذي تناولته، فهو سياسة الاحتلال في إنهاء القضية الفلسطينية من خلال استبدال المنهاج التعليمي الفلسطيني بالإسرائيلي الذي **"لا يعترف بالقدس عاصمة لفلسطين ويستبدل الرموز الفلسطينية بتلك الاسرائيلية ويستبدل العلم الفلسطيني بالإسرائيلي"** كما كشفت في تقرير لها حول الموضوع بعنوان **"فرض إسرائيل مناهجها التعليمية على المؤسسات الفلسطينية"** في العام 2013. بجملة واحدة اختصرت أبو عاقلة أمام الرأي العام سياسة الاحتلال لضرب القضية وتزوير التاريخ بقولها **"احتلال يسرق الأرض، يغيّر التاريخ، يحرّف الواقع، يصادر الهويّة، ويسعى للوصول إلى وعي الطفل الفلسطينيّ".**

6. استحضار القضية الفلسطينية من خلال قضية الأسرى

لا تقتصر قضية الأسرى على انتهاكات حقوقهم في سجون الاحتلال، بل هذه القضية تحمل جوانب عدة تشكل كلها خرقا للقوانين والاتفاقيات الدولية. تسلّط أبو عاقلة في تقاريرها الضوء على هذه القضية، لا سيما فيما يتعلّق بمنع العناية الطبية والحقوق الإنسانية عنهم كما جاء في

تقرير لها على سبيل المثال بعنوان "**11 أسيرا فلسطينيا يواصلون إضرابهم المفتوح**" في العام 2013، والإجراءات التعسفية بحقّهم خلافا للقانون الدولي عن الأسرى مثل تقريرها بعنوان "**تصرفات الجنود الإسرائيليين المشينة بحقّ الأسرى**" في العام 2010، وانتهاكات حقوق الطفل في أسر الأطفال (على سبيل المثال، تقرير "**محكمة إسرائيلية تدين الطفل أحمد مناصرة**" في العام 2016).

7. استحضار القضية الفلسطينية من خلال التراث والثقافة

"**الكبار يَموتون والصغار يَنْسَون**"، هي مقولة إسرائيلية تناولتها أبو عاقلة في إحدى تقاريرها، والتي يحاول الفلسطينيون تحدّيها بأشكال المقاومة والصمود المختلفة. حضر العامل الثقافي كجزء من بناء الذاكرة والوعي الجماعيّ في فلسطين. كما في القصص الإنسانية، وتؤدي الثقافة ولا سيما الفّن والتراث عاملا مهمّا في تقريب الشعوب بين بعضها بعضًا وفي التعريف عن تاريخها وحضارتها وتبادل القصص

والعادات والتقاليد. يعي الاحتلال أهمية هذا الجانب وهذا ما يفسّر اعتداءاته المستمرّة على التراث والثقافة والفنّ الفلسطينيّ كادعاء ملكيته لمأكولات عربية ومنتجات وأغاني تراثية فلسطينية. من هنا، تشكّل المقاومة الثقافية أداة أساسية لبناء الوعي تجاه القضية الفلسطينية، ليس فقط عند الجيل الفلسطيني الشّابّ الذي لم يعش النكبة ولا الاجتياحات، بل أيضا عند الرأي العام العربيّ والعالميّ.

في إرث شيرين أبو عاقلة مئات القصص عن الصناعات الفلسطينية وعن التراث الفلسطينية والحياة الثقافية والفنية الفلسطينية. فهي قالت أكثر من مرة في تقاريرها عن هذا التراث **"يسعى الفلسطينيون للحفاظ عليه كجزء من ذاكرة يحاول الاحتلال تشتيتها".** (راجع أمثلة في تقارير "نابس... مهد صناعة الصابون العريق" في العام 2018، و"غزل العروق...رؤية جديدة للتطريز الفلسطينيّ" في العام 2018، و"مهرجان التراث الفلسطيني في الضّفةّ الغربيّة" في العام 2013).

الخاتمة

تحاول إسرائيل من خلال ماكينتها الإعلاميّة وتأثيرها على كبرى المؤسسات الإعلامية الغربية، تصوير القضية الفلسطينية على أنها مواجهات يقوم بها متمردّون فلسطينيون لا يريدون السلام. في هذا القسم، حاولنا من خلال مناقشة عيّنة صغيرة وعشوائية من تقارير شيرين أبو عاقلة أن نؤصل لنموذج للعمل الصحفي المناصر للقضايا الحقوقية والإنسانية، ويستحضرها من خلال تقارير ميدانية. إذ تمثّل أبو عاقلة نموذج الصحافة الملتزمة التي لم تَحِدْ يوما عن أخلاقيات المهنة في نقل معاناة الشعب الفلسطينيّ ومعاناتها، وهي المعنيّة بها بالعاطفة والانتماء والهويّة كونها ابنة هذه الأرض.

من خلال التقارير العشوائيّة التي تمّ اختيارها من قناة شيرين أبو عاقلة الخاصّة على "يوتيوب" والتي أنشأتها قناة "الجزيرة" بعد اغتيالها واستشهادها[10]، حاولنا شرح وتبيان كيفية استحضار القضية الفلسطينية واستخلاص الانتهاكات الإسرائيلية للقانون الدولي وللمواثيق الدّوليّة ولشرعة حقوق الإنسان من خلال ما وفّرته شيرين من معلومات ووقائع وأرقام ومقابلات ومشاهد مباشرة من الميدان. هذه التقارير تستحقّ أن تكون مادة تدرّس في كليات الصّحافة، ومادّة توثيقية قانونية يتمّ من خلالها رفع الصوت ومناصرة القضية الفلسطينية أمام الرأي العام العالمي وفي المحافل الدولية كونها تغطي الانتهاكات والجرائم الإسرائيلية التي تقع في صلب القضية الفلسطينية وفي صلب الجرائم التي حرّمها القانون الدولي مثل التهجير، الفصل العنصري، الأسر، حريّة التنقل، الحقّ في العيش بكرامة وحرية وأمان، الحق في ممارسة الشعائر الدينية، الحقّ في التعليم، حقوق الطفل، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، حقّ حماية المدنيين في الحروب، وغيرها من قوانين حقوق الإنسان التي غطّتها على مدى 25 عامًا في آلاف التقارير بمهنيّة استثنائية.

[10] https://www.youtube.com/@ShireenAboAqleh

خلاصة:

قد لا يكون الجمهور العام في حاجة إلى دراسة مثل هذه ليصدر حكمه على العمل المهني الذي قامت به شيرين أبو عاقلة على امتداد مسيرتها الإعلامية. فالجمهور، رغم كل ما قد يقال عن عاطفيّة أحكامه وتقلبها، له أدواته لقياس ما يتلقاه عبر وسائل الإعلام وقراءته وتقييمه، خاصّة إذا كان هذا التلقي قد امتدّ لأكثر من ربع قرن.

ورغم أننا لا نملك أدوات دقيقة لقياس موقف الجمهور من العمل المهنيّ لكلّ صحفيّ، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة منفصلة، فإنّ الحزن والصدمة اللذين عبّر عنهما هذا الجمهور، من خلال وسائل التواصل المتاحة، وأساسا عبر وسائل التواصل الاجتماعي عقب اغتيال شيرين أبو عاقلة، يخبرنا الكثير عن التقدير الذي كانت تحظى به لدى متابعيها وفي الأوساط المهنية.

صحيح أن الجمهور يبني أحكامه عادة على ملاحظات انطباعيّة تتأثر بمواقفه من موضوع التغطية وبمستواه المعرفي والثقافي بل وحتى بمواقفه السياسية، لكن الملاحظة، على بساطتها، تعد أداة أساسية في بناء التصورات المعرفية، بل إنّها كثيرًا ما تشكّل منطلقا لها في العلوم الإنسانية كما في العلوم التجريبية، لذلك لا يمكن الاستهانة بأهميتها، خاصة عندما يتعلق الأمر بملاحظة ممتدة عبر الزمن، دون أن تخضع لتأثيرات التقلّب والتبدّل التي قد تميّز أحيانا مواقف الجمهور. في المقابل، لا ترقى أحكام الجمهور القائمة على ملاحظاته، على أهميتها، إلى درجة الخلاصات المعرفية التي يتمّ التوصل إليها بناء على دراسة تحتكم إلى القواعد العلمية المعترف بها في الدراسات الأكاديمية. فقول الناس، ولو أجمعوا، لا يعتدّ به في المجال العلمي إلا على سبيل الاستئناس، مالم تَسنِده دراسة تحدّد الحقيقي من الانطباعي فيه. وهذا بالضبط هو دور هذه الدراسة ودافع إنجازها.

والواقع أن الخلاصات التي توصّلت إليها الدراسة تجاوزت بكثير الملاحظات العامة للجمهور لتنتهي إلى أن العمل المهني لشيرين أبو عاقلة تميّز على مستويات كثيرة، لا تتحقّق إلا لصحفي جمع بين الكفاءة المهنية والرّصانة المعرفية والتزم فوق هذا وذاك بأخلاقيات المهنة وقواعدها.

فنتائج الدراسة تؤكد أن الدّقة والتوازن مثلًا سمة بارزة لتقارير شيرين أبو عاقلة. صحيح أن انتماءها للأرض والقضية كان واضحا في كل تقاريرها، لكن ذلك لم يكن على حساب قيم المهنة وقواعدها وأخلاقياتها.

بل إن هذا الانتماء أضاف الكثير لتغطيتها، فقد مكّنها من جهة من معرفة دقيقة بالقضية الفلسطينية تاريخا وحاضرا ومآلات، وهي معرفة لازمة لتغطية إعلامية مهنية عميقة، ثمّ إنّه من جهة ثانية حال دون السقوط في ذلك الحياد البارد الذي يساوي بين الجلّاد والضحية أو بين القاتل والقتيل، كما حصل في مؤسسات إعلاميّة دوليّة كثيرة تحوّلت إلى متحدّث باسم الاحتلال يبرّر انتهاكاته ويردّد روايته باسم الحياد.

الواقع أن هذا الانتماء المزدوج للقضية وللمهنة في آن، وفي مؤسسة ترفع شعار "الحقيقة أولا" وتعلي من قيمة "الدّقّة والتّوازن والنّزاهة"، قد تجسّد في عمل شيرين أبو عاقلة فيما يمكن تسميته بـ "الصحافة المتعاطفة مع الإنسان" لكن دون تحيّز.

قد يبدو في الأمر تناقضًا. فكيف يستقيم الجمع بين "التّعاطف" و"غياب التّحيّز" وهما بمقتضى النظر العقلي نقيضان لا يجتمعان؟ الواقع أن هذا التناقض موهوم. ذلك أن التعاطف المقصود في هذه التغطية ليس ذلك الذي يكون مع فئة دينية أو عرقية أو سياسية أو اجتماعية ضدّ أخرى، وإنّما هو تعاطف مع الإنسان أي إنسان عندما يتعرّض للانتهاك أو الظّلم في مواجهة الاعتداءات التي تطاله. وهذا التعاطف لا يتمّ بأي شكل من الأشكال على حساب الحقيقة، كذبا أو

تزويرا أو إخفاء أو مبالغة، وإنما يقوم من جهة على كشف الحقيقة وإظهارها كاملة من خلال حكي قصص الناس ومعاناتهم، ومن جهة ثانية على مراقبة السلطة ومن يملك القوة وكشف ما قد يرتكبه من انتهاكات في حق الفئات الأضعف. والقاعدة الأساسية في ذلك كله أن "الحقيقة وحدَها تخدم الوطن"، فكيف الحال والوطن محتلّ، ولا يطلب غير كشف الحقيقة. بينما المحتل هو الذي تزعجه الحقيقة ولا مصلحة له في ظهورها.

إن التعاطف بهذا المفهوم يغدو شرطا أخلاقيا ضروريا لازما لممارسة صحفية مهنية تعلي من شأن الإنسان وتدافع عن حقّه في الحياة والكرامة، وتتجنب السقوط في شباك الدعاية الإسرائيلية الضاغطة في المجال الإعلامي لدرجة أن مؤسسات كبرى وصحفيين مرموقين وجدوا أنفسهم يكرّرون الرواية الإسرائيلية دون تمحيص أو تدقيق.

وتحقيق هذه الشروط يفترض علاوة على الكفاءة المهنية والمعرفية والالتزام الأخلاقي، توفر جرأة وشجاعة تجعل الصحفي قادرًا على تحمّل الإكراهات التي يفرضها الميدان، والمخاطر التي يتسبب فيها القيام بدور "مراقبة السّلطة" خاصّة إذا تعلّق الأمر باحتلال يمثّل سلطة الأمر الواقع.

وإذا كانت التقارير التي أنجزتها شيرين أبو عاقلة تمكّن الدارس من تبين قيمها المهنية والأخلاقية التي التزمت بها على امتداد مسارها المهني، فإن شجاعتها وجرأتها في مراقبة الاحتلال وكشف انتهاكاته لا تحتاج إلى دليل. فلا دليل يعلو على الدم الذي سال برصاصة الاحتلال.

رحم الله شيرين أبو عاقلة...

المراجع والمصادر:

باللغة العربية:

- أُلفت حسن أغا، "القائمون بالاتصال: دراسة لاتجاهاتهم نحو دور الاتصال الجماهيري في المجتمع"، في: حسن أغا وآخرون، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال، القاهرة، دار المعرفة الجماعية، 1992.

- جمال الدين الناجي، وسائل الإعلام والصحفيون: موجز آداب المهنة، ترجمة محمد الناوي، الرباط، منشورات مركز التوثيق والإعلام والتكوين في مجال حقوق الإنسان، 2004.

- جان كلود برتراند، أدبيات الإعلام : ديونتولوجيا الإعلام ، ترجمة رباب العابد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008.

- حمدان، بثينة عبد المنعم، التغطية الإخبارية لـ بي .بي .سي للقضية الفلسطينية : نشرة "العالم هذا المساء" نموذجًا : الفترة ما بين تشرين ثاني-كانون أول، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة بيرزيت، 2008.

- محمد البقالي، سؤال المهنية والإيديولوجية في الصحافة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، الدوحة، 2018.

- محمد البقالي، كيف تحكي القصة في التلفزيون، معهد الجزيرة للإعلام، نوفمبر 2002، الدوحة.

- محمد جسوس وآخرون، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجهات التأثير، ط 3، دار عالم الكتب، القاهرة، 2004.

- نهوند القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، الوقوف على تخوم التفكيك، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

باللغات الأجنبية:

- Aidan White, Vous dire la vérité : initiative pour un journalisme éthique, Paris, Ed 4, Victoire, 2010.

- Claude Dargent. “Construire un échantillon ”, Sociologie des opinions. sous la direction de Dargent Claude. Armand Colin, 2011

- Cyril Lemieux, De Certaines différences internationales en matières de pratiques journalistiques: comment le décrire? Comment les expliquer ? Dans: Jean-Baptiste Legavre (dir), La presse Écrite: objets délaissés, Harmattan , Paris, 2004.

- Edgar H, Schein, Organizational culture and Leadership, 3rd Ed, Jossy Bass, California, 2004.

- Elias Norbert, Engagement et distanciation. Contributions à la sociologie de la connaissance. Traduit de l’Allemand par Michel Hulin, FAYARD – 1983.

- Eric Neveu, Sociologie du journalisme, Collection Repère, 3eme éd, Paris, la Découverte, 2009.

- George A. Donohue, Phillip J. Tichenor, Clarice N. Olien Journal of Communication, Volume 45, Issue 2, June 1995.

- Gabriel Garcia Marquiz, Vivre pour la raconter, Traduit de l'espagnole par: Annie Morvan, Bernard Grasset, 2003.

- Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale, tome I, L'Action sociale (Paris: Seuil, 1970)

- Maurice Thévenet, Audit la culture d'entreprise, Collection Audit, Editions d'Organisations, Paris, 1986.

- Nick COULDRY, The Place of Media Power: Pilgrims and Witnesses of the Media Age, Routledge, London 2000.

- Oliver BOYD-BARRETT, "Theory in Media Research", The Media Book, Chris Newbold, Oliver Boyd-Barrett and Hilde Van Den Bulck (Eds), Arnold: London, 2002.

- Paul Nizan, Les chiens de garde, éditions Rieder, 1932, Paris

- Pierre Bourdieu, L'emprise du journalisme, Actes de la Recherche en Sciences Sociales, 1994

- Serge Halimi, Les Nouveaux Chiens de garde, Liber-Raisons d'agir, 1997

- Thomas Ferenczi. " L'information et ses contraintes ", Thomas Ferenczi éd., Le journalisme. Presses Universitaires de France, 2007.

- THOMPSON, John B. The Media and Modernity: A Social Theory of the Media, Stanford, California, Stanford University Press, 1995.

مواقع إلكترونية:

ميثاق الشرف المهني لقناة الجزيرة
- https://network.aljazeera.net/sites/default/files/documents/2022/ED_1AR.pdf
دليل المعايير التحريرية لقناة الجزيرة:
https://network.aljazeera.net/ar/our-values/standards#page-18

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute @aljazeera.net
http://institute .aljazeera.net